الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

جامعة العربي التبسي ـ تبسة ـ

حجاجية الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في المقامة الرحبية للحريري

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات الخطاب

إعداد الطالبة:

إيمان بوغرارة

إشراف الأستاذة الدكتورة:

ربيعة برباق

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
رزيق بوزغاية	أستاذ	رئيسا
ربيعة برباق	أستاذ	مشرفا ومقررا
الطيب العزالي قواوة	محاضر "أ"	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2022-2021

شكر وعرفان

الحمدلله ذو الفضل والمنة والصلاة والسلام على رسوله أكرم الخلق وهادي الأمة

نحمد الله حمد الشاكرين ونثني عليه ثناء الذاكرين أن وفقنا وسدد خطانا لإنجاز هذا العمل

أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذتي الفاضلة الدكتورة "ربيعة برباق" على متابعتها للبحث وحرصها واشرافها عليه

الشكر الجزيل لأساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة العربي التبسي ـ تبسة ـ وللجنة المناقشة

نقول شكرا لكل من يتعب من أجل تحصيل العلم والمعرفة، لمن يسهر لياليه يحاور القلم... وقفة شكر وامتنان لهم.

مقدمة

بعد شيوع المنهج العلمي وتأثيره على البحث اللغوي عموما، اتجهت البلاغة نحو المعارف اللسانية والمناهج النقدية المتشبعة بأفكارها ونظرياتها، لأجل تجديد طاقتها وتغيير ثوبها لتتماشى مع عصرها، ولتكون قادرة على مزاحمة غيرها من المجالات الفكرية المعاصرة.

وما قلناه هنا ـ ظهور نمط جديد من التفكير البلاغي ـ لا يعني بحال من الأحوال إلغاء الدرس البلاغي القديم، ولا التقليل من قيمه، التي ارتبطت بمنطلقات وأسباب وأهداف وسياقات نشأتها، إنما نقصد تجديد المنهج بالشكل الذي يمكنها من الانفتاح على ميادين ووسائل دراسية جديدة.

وعلى هذا الأساس بدأت النظرية البلاغية المعاصرة تطرح نفسها لا بوصفها بلاغة معيارية ترتبط بالخطابة والإقناع والإمتاع، والنصوص الخاصة، لتتعامل مع جميع الخطابات والنصوص تعاملا علميا وصفيا جديدا، على حد سواء، مستفيدة من عدة اتجاهات: لسانية، وسيميائية، وفلسفية.

ولترتبط أكثر بالتداولية وبالتحديد بنظرية الحجاج التي درست الحجاج من جانبين: جانب ذا طابع بلاغي يتزعمه "شايم بيرلمان"، تحت مسمى البلاغة الجديدة، وجانب ارتبط باللسانيات تمثل في دراسات "أوزفالد ديكرو" تحت مسمى الحجاج في اللغة.

وبالتالي ارتبطت البلاغة بالتداولية وقضاياها وخاصة الحجاج، الذي يعد مجالا غنيا من مجالاتها رغم انبثاقه في القديم عن عدة حقول: الحقل البلاغي والمنطقي والفلسفي، حيث كان له جذور في الدراسات اليونانية، وعرف في الدراسات العربية القديمة بمفاهيم مختلفة ومتداخلة معه مثل البرهان والجدل والإقناع... وغيرها، ليتطور فيصبح نظرية أو قضية تداولية وتواصلية في الدراسات المعاصرة.

وقد مرت الدراسات اللغوية واللسانية كسابقتها من العلوم بعدة مراحل لتصل إلى الاهتمام بعناصر العملية التواصلية والعلاقة التي تربط اللغة بمستعمليها، وهو ما تجلى في التيار التداولي الذي جاء ليدرس اللغة في واقع استعمالها، ويهتم بالكشف عن مقاصد المتكلم وعلاقة النص بالعناصر الخارجية للتواصل، فهو حقل معرفي تعددت قضاياه لتشمل: المحادثة، السياق، الحجاج، وأفعال

الكلام. هذه الأفعال تمثل نظرية أخرى مجاورة من النظريات التداولية، وقد اصطلح عليها بتداولية الدرجة الثالثة، بل تعد منطلقا فعليا في الفكر اللساني التداولي يبرز الوجه الإنجازي من القول بعد أن كانت الوظيفة الإخبارية هي المسيطرة، ويتأسس على ثلاثة جوانب تشكل مع بعضها كيانا واحدا وتؤدى في الوقت نفسه الذي يتلفظ فيه بالفعل، وهي: الفعل التلفظي، الفعل التأثيري، الفعل المتضمن في القول، ويعد هذا الفعل الإنجازي جوهر نظرية أفعال الكلام، بأكملها؛ لذلك اخترنا أن يكون موضوع بحثنا هذا.

وقد سعت دراستنا هذه لتناول الحجاج من وجهة نظر تداولية وبالتحديد من الفعل الكلامي باعتباره فعلا حجاجيا بالدرجة الأولى، ووقع اختيارنا على المقامة الرحبية للحريري لتكون مدونة للتطبيق، بعدها نوعا من النصوص الأدبية التي تقوم على المحاججة والإقناع، فجاء عنوان بحثنا موسوما ب: "**حجاجية الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في المقامة الرحبية للحريري**".

وتأسست دراستنا على إشكالية تمثلت في: ما دور الأفعال الكلامية المتضمنة في القول والمستلزمة مقاميا في تحقيق القيمة الحجاجية في المقامة الرحبية للحريري؟ وما مدى تحقيقها لفعلها التأثيري؟

وكان اختيارنا لهذا الموضوع راجعا إلى جملة من الأسباب منها: أسباب ذاتية، تمثلت في الميل إلى الدراسات اللسانية التداولية، ورغبتنا في الاستزادة من الحقل التداولي. وأخرى موضوعية، تكمن في محاولة الكشف عن أهم محاور البحث في حقل اللسانيات التداولية نظرا لما تحمله من أهمية في مجال البحث العلمي، ومحاولة إثبات القيمة الحجاجية التي يحوزها الفعل المتضمن في القول ليكون حدثا مؤثرا أولا، وتعميقا لمعارفنا وتطبيقا وإخبارا لمدى استيعابنا للمنهج ثانيا.

وفيما يخص الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع بهذه الصيغة والمنهج والتطبيق، فلم نعثر على أي دراسة بهذا الشكل، وأما الدراسات القريبة والتي تناولت حجاجية أفعال الكلام عموما فهي قليلة نذكر منها: ، كتاب لعلي محمود حجي الصراف بعنوان "في البراجماتية الأفعال الإنجازية في

العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي"، وقد قسمه إلى جزأين؛ يقدم القسم الأول بابين يتناولان دراسة النظرية الإنجازية ويحللان عناصرها، أما القسم الثاني فيقدم المعجم السياقي للأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة. ومقال لربيعة برباق بعنوان "حجاجية متضمنات القول في مداخلة الشيخ مُحَمَّد الغزالي ضمن المناظرة الكبرى (مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية)" الذي افتتحته بالتعريف بالمناظرة وكاتبها، ثم نظرية الأفعال الكلامية، وجزء تطبيقي يعالج دور الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في تحقيق القيمة الحجاجية للمداخلات التي قدمها في هذه المناظرة. ونشر المقال ضمن أعمال الملتقى الدولي الحجاج والهيرمونتيقا.

أما منهج الدراسة فكان منهجا تداوليا، باعتباره المنهج الذي يملك الإجراءات والأدوات التي تمكن من التحليل والبرهنة، وإظهار القيم الحجاجية في النص، فتقصي حجاجية متضمنات القول في المقامة الرحبية يتطلب الآليات الإجرائية لهذا المنهج. وتستند هذه الدراسة إلى آليتي الوصف والتحليل اللتين لا يخلو منهما أي منهج علمي.

وينبني هذا البحث على خطة تحددت معالمها من خلال المادة العلمية التي توفرت للبحث، والمنهج المتبع لدراستها: فجاءت مشكلة من مقدمة وفصلين وخاتمة.

تطرقنا في الفصل الأول الموسوم ب: "**الحجاج وأفعال الكلام ـ مفاهيم نظرية ـ**" إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للحجاج، ثم الحجاج والمصطلحات المتداخلة معه، والحجاج كنظرية في الدرس الحديث، ثم نظرية الأفعال الكلامية، وختاما الأفعال المتضمنة في القول.

وافتتحنا الفصل الثاني المخصص للدراسة التطبيقية، والمعنون ب: " **متضمنات القول في المقامة الرحبية للحريري ودورها الحجاجي**" بالتعريف بالحريري فالتعريف بالمقامة الرحبية، ثم تطرقنا إلى بيان دور الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في تحقيق القيمة الحجاجية في المقامة ومدى تحقيقها لفعلها التأثيري وفقا لتصنيفات **جون أوستين**.

لننهي بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، محاولين بلورتها على شكل نقاط مبسطة وواضحة.

ولم يخل بحثنا من بعض الصعوبات التي قد تواجه أي باحث خلال دراسته، والتي تمثلت في: تشعب المادة العلمية للبحث، كثرة المراجع التي تناولت الجانب النظري للموضوع، وقليلة تلك التي طبقت بهذا الشكل، تعدد الترجمات للمصطلح الواحد.

وفي الختام نشكر الله عز وجل ونحمده على توفيقه بأن يسر لنا السبل لإنجاز هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التي أتمنى أن تكون في المستوى المطلوب، دون أن يفوتني أن أتقدم بالشكر الخاص لمشرفتي الأستاذة الدكتورة "**ربيعة برباق**" على ما قدمته لي من نصائح وتوجيهات، كما نتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة على تحمل عناء قراءته وقبول مناقشته وتقويمه، وإلى كل من دعمني من قريب أو بعيد.

الفصل الأول:

الحجاج وأفعال الكلام ـ مفاهيم نظرية ـ

I ـ الحجاج

يعد الحجاج من القضايا الحديثة التي أنتجتها الدراسات اللغوية في الحقل اللساني التداولي، إلا أن له ممارسة وتطبيقات وتمثلات نظرية أو إرهاصات ضاربة في عمق التاريخ، سواء في البيئة العربية والإسلامية باعتبار القرآن الكريم كتاب إقناع ومحاججة، أو عند الغرب بداية من اليونان في محاوراتهم الخطابية وتنظيراتهم البلاغية، ذلك أنه عندما انتهى الاستبداد الفكري ظهر عصر جديد يتجه إلى الخطاب العلمي الموضوعي والتفكير الحر في معالجة قضاياه بعيدا عن منطق قوة المعيار والمنقول الذي كان سائدا في القديم.

فموضوع الحجاج قديم قدم التراث العربي والغربي، استمد وجوده من معارف ومرجعيات مختلفة، إلا أن تاريخه قد مر بمراحل ركود عديدة إلى أن تطور وفرض نفسه كنظرية أساسية في الدراسات المعاصرة. وقبل التفصيل في ذلك سنتطرق أولا إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للحجاج.

I ـ 1 ـ المعنى اللغوي للحجاج:

يعود مصطلح الحجاج في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (حجج)، وقد ورد في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي:« حَجَّ علينا فُلانٌ أي قَدِمَ. والحَجُّ: كثرة القَصْد إلى من يُعَظَّم... والمِحَجَّة: قارعة الطريق الواضح، والحُجَّة: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة، والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ. والحِجاج المصدر. والحَجاج: العظمُ المستدير حولَ العَين»[1]

كما ورد في لسان العرب في مادة (ح.ج.ج):«الحَجُّ: القَصْدُ، حجَّ إِلَيْنَا فُلَان أيّ قَدِمَ، وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حجًّا: قَصَدَهُ، حَجَجْتُ فُلَانا وَاعْتَمَدتُه أي قَصَدْتُهُ. يُقَالُ حَاجَجْتُه أُحَاجَّهُ حِجَاجًا ومُحَاجَّة حَتَّى حَجَجْتُه أي غَلَبْتُهُ بِالحُجَج التِي أَدْلَيْتُ بِهَا، والحُجَّةُ: البُرْهَان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِه الخَصْمُ؛ وَقَال الأَزْهَرِي: الحُجَّةُ الوَجهُ الذِي يَكُونُ بِه الظَّفْر عِنْدَ الخُصُومَة. وَهُوَ رَجُل مُحْجَاج أي جَدِل. وَ التَّحَاجج: التَّخَاصُم»[2]

(1): الخليل أبو عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2002م، ج1، ص286، 287.

(2): جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 2004م، مج5، ص37، 38.

نلاحظ من خلال ما ورد في التعريفين السابقين أن الحجاج يستخدم في اللغة للدلالة على معاني مختلفة منها: القصد، القدوم، البرهان، التخاصم، والجدال.

I ـ 2 ـ مفهوم الحجاج اصطلاحا:

عرفه العلماء من منطلقات مختلفة، سنختار منها ما يتوافق والمنطق اللساني والبلاغي، ومن ذلك تعريف **طه عبد الرحمان:** « حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[1]، أي أنه عبارة عن عملية تتم بين متكلم ومتلقي حول قضية ما من خلال تقديم حجج وأدلة من حق المتلقي التسليم بها أو الاعتراض عليها.

كما عرف بأنه:« وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آرائه واتجاهاته وانتقاداته وتوجيهاته»[2]، انطلق هذا التعريف من دراسة الحجاج كظاهرة تواصلية تربطه بالأفعال الكلامية التي يتوجه بها المخاطب إلى المتلقي، وما تحدثه من تأثير يدفعه إلى التسليم بما يعرض عليه والاقتناع برأي المتكلم، أو دحضه وتقديمه هو الآخر حججا تبرر موقفه.

I ـ 3 ـ المصطلحات المتداخلة مع الحجاج في اصطلاح العرب القدامى:

عُرف الحجاج في الدراسات العربية القديمة بمفاهيم مجاورة له، خاصة في الدراسات البلاغية والدراسات الإسلامية والأصولية وعلم الكلام والفلسفة، فضلا عن الدور المهم الذي لعبه في الحياة السياسية والعقائدية في البيئة العربية والإسلامية. وظهور القرآن الكريم الذي يعد خطابا حجاجيا إقناعيا أكد لنا فكرة أن العرب عرفوا الحجاج، وعرفوا مفاهيم مجاورة له كالاستدلال والجدل والبرهان والمغالطة، وسنفصل في هذه المفاهيم كما يلي:

I ـ 3 ـ 1 ـ الاستدلال:

يعد الاستدلال مفهوما مشتركا بين العديد من الاختصاصات ومن المصطلحات القريبة من الحجاج، وقد حده **الشريف الجرجاني** بقوله:« تقرير الدليل لإثبات المدلول، سواء كان ذلك من الأثر

(1): طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1998م، ص226.

(2): يمينة تابتي: "الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي"، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، جامعة تيزي وزو، العدد 2، دار الأمل، ماي 2007م، ص284.

إلى المؤثِّر، فيسمى: استدلالاً أنّياً، أو بالعكس، ويُسمى: استدلالا لِمّياً، أو من أحد الأثرين إلى الآخر»[1]، فالاستدلال حسب **الجرجاني** هو إثبات دعوى لم تكن في الغالب واضحة من خلال دليل أو حجة معينة، ويكون بين متكلم وسامع، غير أنه يختلف حسب توجيهه.

وقد عدَّ **بنوا رونو(Benoit Renaud)** الاستدلال من سمات النص الحجاجي ـ التي أوردتها **سامية الدريدي** في كتابها ـ وعرفه بقوله:« وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة. ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية ترتيبا يستجيب لنية الإقناع»[2]،وكون الاستدلال ذا صلة بالدليل والحجة من جهة، وبالبرهنة والإقناع من جهة أخرى من خلال تقديمه للحجج العقلية والمنطقية التي تقيم الحجج أو تدحضها، فقد اعتبر من المصطلحات القريبة والمجاورة للحجاج.

I ـ 3 ـ 2 ـ الجدل:

الجدل في اللغة هو مقابلة الحجة بالحجة والمخاصمة والمناظرة والفتل، ولا يختلف معناه الاصطلاحي كثيرا عن المعنى اللغوي، حيث عرفه **ابن وهب** بقوله:« وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، وفي التسول والاعتذارات؛ ويدخل في الشعر والنثر»[3]، جعل **ابن وهب** من الجدل خطابا إقناعيا تعليليا يقع في مسائل خلافية بقصد إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين في رأي ما، وغالبا ما يكون حول قضايا تتعلق بالديانات والمذاهب الدينية والكلامية والخصومات، كما يقع أيضا في الشعر والنثر. والمجادلة لا تحصل بهدف إظهار الحق، إنما لإلزام الخصم

(1): الشريف أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن علي الحسيني الجرجاني: التعريفات، تح: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2003م، ص21.

(2): سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط2، إربد، الأردن، 2011م،ص27.

(3): إسحاق أبو الحسين بن إبراهيم بن سليمان بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح: جفني مُحَمَّد شرف، مكتبة الشباب، (دط)، القاهرة، (دت)، ص176.

بالتنازل عن رأيه والاقتناع برأي الآخر وذلك من خلال تقديم المتجادلين حججا وأدلة تقنع الطرف الآخر برأيه، لهذا عد الجدل من المصطلحات القريبة من معنى الحجاج.

I ـ 3 ـ 3 ـ البرهان:

يحمل في اللغة معنى الحجة البينة الفاصلة، وهو من المصطلحات المقاربة دلاليا لمعنى الحجاج إلا أنه يختلف عنه ذلك أن« البرهنة هي استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقية النتيجة أو البرهنة التي يمكن أن تتخذ شكل حساب، فإن الحجاج يطلب به الإثبات والإقناع، ولا يتم توجيهه إلا في سياق نفسي اجتماعي. فإن كانت البرهنة تقع بطريقة مجردة في استقلال عن كل سياق عدا سياق النظام وكانت صحيحة أو خاطئة، مطابقة لقواعد الاستدلال في النظام أو غير مطابقة، فإن الحجاج ينهض على حجج مفيدة أو غير مفيدة، قوية أو ضعيفة، موافقة للمخاطب الذي تتوجه إليه»[1]، وبذلك عدت البرهنة من المفاهيم المجاورة لمصطلح الحجاج كونها تنطلق من مقدمات من خلال تقديم الأمثلة والحجج وصولا إلى النتيجة.

I ـ 3 ـ 4 ـ المغالطة:

تعد المغالطة ضرب من الحجاج، لكنه يستند إلى« استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو كأنه صحيحا، لأنه مقنع سيكولوجيا، لا منطقيا، على الرغم مما به من غلط مقصود»[2]. ويعتمد الحجاج المغالط في بلوغ هدفه على« الإضمار، فهو من أهم مقوماته ويستخدم لذلك جملة من أساليب التضليل والتشويه والتعتيم كالسلطة، والكذب، والسؤال الملغوم، والصمت والهجوم الشخصي... وغيرها من الأساليب، وسيلة لإخفاء المقاصد الحقيقية، حتى لا يتمكن المتلقي من كشف المغالطة»[3]، فهو يقوم على أقيسة تناقض العقل وتقوم على المغالطة في تقديم الحجة.

---

(1): صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، سورية، دمشق، 2008م، ص69.

(2): محمد أسيداه: اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط، نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، تق: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، (دط)، الأردن، 2010م، ج3، ص272.

(3): ربيعة برباق: "المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش"، سياقات اللغة والدراسات البينية، مج2، العدد5، أفريل2017م، ص39.

وعلى هذا الأساس يمكن القول عن المغالطة أنها تلك الأنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ مظهر الحجج الصحيحة وتنحرف عن القواعد الضمنية التي تحكم شتى أصناف التداول الحواري[1]، أي أنها ضرب من الحجاج مبني على الخداع والتضليل والتعتيم من أجل إضمار المقاصد الحقيقية، وهو بذلك من المصطلحات المقاربة لمعنى الحجاج.

I ـ 4 ـ نظرية الحجاج في الدرس الحديث:

يعد الحجاج من أهم النظريات التي اهتمت بها الدراسات اللغوية الحديثة، وهذا لا ينفي وجود آثار له سواء عند اليونان كونه مبحث اعتمده المشتغلون على اللغة ضمن ما يسمى البلاغة والخطابة، أو في البيئة العربية باعتبار القرآن الكريم كتاب إقناع ومحاججة. وتعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية إلى ما يعرف بالبلاغة الجديدة، حيث درس الحجاج من جانبين: جانب اصطبغ بصبغة بلاغية يمثله مشروع **شايم بيرلمان** (**ChaimPerelman**)، وجانب تداولي تمثل في دراسات **أوزفالد ديكرو** (**Oswald Ducrot**)، «فقد مثلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارهما لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه، درس ينطوي على نضج نظري يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية ليلحقه بالممارسة العلمية اللسانية»[2]. فالحجاج من أهم المباحث التي شغلت الباحثين قديما وحديثا، انبثق عن الحقل الفلسفي والبلاغي والمنطقي، لكنه تجاوز ذلك من خلال تطوره كنظرية لها مؤسسها وآلياتها ضمن الحقل اللساني التداولي.

وقد حدد **شايم بيرلمان** و**ألبريخت تيتيكا**(**Lucie Olbrechts-Tyteca**) من خلال كتابهما "مصنف في الحجاج" مفهوما للحجاج انطلاقا من موضوعه وذلك في قولهما: «موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما

(1): عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، طبيعتنا الثانية وخبزنا ليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2007م، ص17، 18.

(2): رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، تق: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2010م، ج2، ص79.

يعرض عليه من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[1]، أي أن موضوع الحجاج يكمن في دراسة الأساليب والتقنيات الخطابية التي يستند إليها المتكلم في المحاججة حتى يصل بالمتلقي إلى الاقتناع والتسليم.

وتقوم نظرية الحجاج عند **بيرلمان** و**تيتيكا** على مجموعة من التصورات سميت أيضا مقدمات لا تتم العملية الحجاجية إلا من خلالها وهي:[2]

1 ـ الوقائع: وتمثل ماهو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس

2 ـ الحقائق: وهي أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع. وتقوم على الربط بين الوقائع، ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية.

3 ـ الافتراضات: شأنها شأن الوقائع و الحقائق تحظى بالموافقة العامة، ولكن الإذعان والتسليم بها لا يتحققان حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما.

4 ـ القيم: وعليها مدار الحجاج بكل ضروبه، وهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء.

5 ـ الهرميات: إن القيم ليست مطلقة، وإنما هي خاضعة لهرمية ما. فالجميل درجات وكذلك النافع.

6 ـ المعاني أو المواضع: عبارة عن مخازن للحجج أو مستودعات، وتنقسم إلى مواضع مشتركة ومبتذلة.

تمثل هذه المقدمات عنصرا مهما في العملية الحجاجية، إذ يعتمدها المحاجج ويعتبرها منطلقا له حتى ينجح في إقناع جمهوره من خلال انتقاءها بشكل يناسب المقام والمتلقي معا.

ويرى بعض اللسانيين وفي مقدمتهم **أوزفالد ديكرو(Oswald Ducrot)** و**جان كلود أنسكومبر(Jean-Claude Anscombre)** من خلال كتابهما "الحجاج في اللغة" أن

(1): ChaimPerelman et Lucie - Olbrechts – Tyteca, Traitè de l'argumentation: La nouvelle rhétorique,ed5, Edition de l'université de Bruxelles, 1972, p05.

(2): عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر، ط1، تونس، 2011م، ص24، 27.

المنطلق الأساسي للنظرية الحجاجية هو من اللغة وليس من الجانب الجدلي البلاغي الذي تبناه **بيرلمان**، حيث جاء في قول **أبي بكر العزاوي** الذي يعتبر **ديكرو** المؤسس الفعلي لنظرية الحجاج: «إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أوزفالددیکرو (O.Ducrot) منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها:" أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"»[1]. ثم إن هذه النظرية « تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية (Intrinséque) وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها»[2]، وبذلك يمكن القول أن **ديكرو** و**أنسكومبر** درسا الحجاج في نطاق اللغة دون الاهتمام بما هو خارجها، أي أرادا الوصول إلى فكرة أن للغة وظيفة حجاجية تتحقق من خلال استخدام المتكلم للأدلة والحجج قصد إقناع المتلقي والتأثير فيه.

وقد عد الحجاج من المفاهيم المحورية في فكر **طه عبد الرحمان**، فعرفه بأنه:« فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاءً موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة»[3]، يبدو من خلال هذا التعريف أن الحجاج عند **طه عبد الرحمان** يكتسي طابعا تداوليا جدليا باعتباره يهتم بالسياقات المقامية والاجتماعية المختلفة، وكذا المعارف المشتركة بين المتخاطبين بهدف الإقناع والتأثير للوصول إلى نتائج وأهداف، لذلك فالحجاج عنده أعم وأشمل من البرهان.

وبذلك نخلص إلى أن الحجاج من القضايا التي شغلت الباحثين قديما وحديثا، إذ يعد مجال غني من مجالات التداولية لكنه انبثق عن الحقل البلاغي والمنطقي والفلسفي، حيث كان له جذور في البلاغة اليونانية، كما عرف في الدراسات العربية القديمة بمفاهيم مجاورة ومتداخلة معه، ثم تطور كنظرية

(1): أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ط1، الدار البيضاء، 2006م، ص14.

(2): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3): طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص65.

في الدراسات المعاصرة فدرس من جانبين:جانب بلاغي يمثله مشروع **شايم بيرلمان** وجانب لساني تداولي تمثل في دراسات **أوزفالد ديكرو**.

II ـ أفعال الكلام

تعد نظرية الأفعال الكلامية التي جاءت مع الفيلسوف المعاصر **جون أوستين(J.Austin)** من أهم المنطلقات التأسيسية في الفكر اللساني التداولي، والتي حاولت تجاوز الفكرة القائلة أن وظيفة اللغة هي التعبير ووصف العالم فقط، لكنها ترتبط أيضا بما تنجزه الأفعال اللغوية في الواقع أو ما تحققه من أهداف غير الإخبار؛ أي إبراز الوجه الإنجازي من القول بعد أن كانت الوظيفة الإخبارية هي المسيطرة، وقد تأثر **أوستين** في هذا بما نبه إليه **فتجنشتاين(Wittgenstein)** من أن:« اللغة قد تستخدم لوصف العالم من حولنا بيد أن هناك حشدا من الاستعمالات الأخرى للغة لا تصف وقائع العالم، كالأمر، والاستفهام، والشكر، واللعن، والتحية، والدعاء»[1]، وقد أُطلق على هذه النظرية عدة تسميات منها: نظرية الحدث الكلامي، نظرية الحدث اللغوي، النظرية الإنجازية... وغيرها من التسميات.

ونظرية أفعال الكلام هي« الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية، حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، وهي تسمية اقترحت في سنوات الستينيات من أوستين، استأنفت من طرف (سورل)، قبل أن تكون مقبولة من طرف كل اللسانيين الذين يعتدون بالنظرية الملفوظية»[2]. هذه الفكرة طرحها **أوستين** في محاضراته التي ألقاها بجامعة "هارفرد" (Herford) حين نبه إلى أنه من غير الممكن اعتبار وظيفة اللغة الوحيدة هي وصف العالم، أو ما أطلق عليه الإيهام الوصفي[3]، إنما هي «منظومة تعنى بتحويل الأقوال التي تحكمها معطيات سياقية إلى أفعال إنجازية تأثيرية تحكمها الصيغة الاجتماعية التواصلية»[4]،واعتبر أن

(1): محمود أحمد نحلة: "نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية"، مجلة الدراسات اللغوية، جامعة الإسكندرية، ج1، العدد1، أبريل-يونيو، 1999م، ص160.

(2): خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط1، سطيف، الجزائر، 2009م، ص86، 87.

(3): آن روبول وجاك موشلر: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ص30.

(4): ربيعة برباق: "حجاجية متضمنات القول في مداخلة الشيخ محمد الغزالي ضمن المناظرة الكبرى (مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية)"، الحجاج والهرمنيوطيقا في الخطاب، أنطولوجيا الهوية والرسالة، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2020م، ص464.

« الفعل الكلامي(Speech act) نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية. وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري»[1]، وبهذا عد الفعل الكلامي فكرة أساسية ومركزية في الدراسات التداولية ومجال غني من مجالاتها يتأسس على ثلاثة جوانب مختلفة ومتداخلة، هي: الفعل الكلامي التلفظي، الفعل الكلامي الإنجازي، والفعل الكلامي التأثيري.

وقد تأسست هذه النظرية حين صنف **أوستين** الأفعال الكلامية في مرحلته الأولى وفقا لمعيار الصدق والكذب، إلى أفعال إخبارية (constatifs)؛ ونعني بها الأفعال التقريرية أو الوصفية، وسماها العرب الأساليب الخبرية وهي:«أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمي كلاما خبريا. والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، و بالكاذب ما لم تطابق الكلام فيه الواقع»[2]، أي هي الأفعال التي يمكننا الحكم عليها بالصدق أو الكذب بناءً على مدى مطابقتها للواقع.

أما النوع الثاني من الأفعال فهي تلك التي لا تصف ولا تمثل ولا تخبر وليست خاضعة لمعايير الصدق أو الكذب، إنما يحكم عليها بمعيار النجاح أو الإخفاق؛ وهي الأفعال الإنجازية أو الإنشائية أو الأدائية (performatifs) و«ترتبط بشروط تحقيقها، التي تحملها حال النطق بها، وبمساعدة بعض الشروط الظرفية الأخرى، نحو: أعلن عن افتتاح الجلسة. وبذلك فهو يعارض مبدأ الصدق والكذب الذي يحكم الجملة عموما، لدى المناطقة»[3]، فالفعل "أعلن" هنا ليس مجرد أصوات مركبة إنما هو إنجاز حدث من خلال التلفظ بالفعل.

وفي مرحلة ثانية من تطور هذه النظرية لاحظ **أوستين** أن الأفعال الإخبارية أيضا لها صلة بعناصر المقام شأنها في ذلك شأن الإنجازات فتخلى بذلك عن فكرة التمييز بين القول والفعل، «معتبرا الوحدات الكلامية الخبرية صنفا من صنوف الوحدات الكلامية الإنشائية، مختزلا إياهما ضمن نظرية شاملة للأفعال الكلامية. وقد قاده هذا التمييز إلى البحث عن معايير تقسيمية أخرى، فارتأى وجوب الفصل بين الإنشاء الصريح (Performatif Explicite) الذي يستدل عليه بواسطة

(1): مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تق: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، ط2، إربد، الأردن، 2014م، ص51.

(2): عبد السلام مُحَمَّد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، 2001م، ص13.

(3): خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص53، 54.

إسناد فعل إلى المتكلم المفرد المعلوم في زمن الحال، وبين الإنشاء الأولي (Performatif Primaire) الذي يتسنى تأويله ببنية نحوية يتصدرها فعل إنجازي صريح، تمثله مختلف الصيغ الإنجازية التي يسمها فعل. وقد أبان أوستين أن الإنشاء الصريح نشأ، على التدريج، انطلاقا من الإنشاء الأولي، بعامل تطور اللغة والمجتمع»[1]. فقد اعتبر **أوستين** الملفوظات الإخبارية صنفا من صنوف الملفوظات الإنجازية (الإنشائية)، وتخلى عن فكرة الفصل بين القول والفعل، كون الفعل لا يتحقق إلا من خلال تلفظه، والقول بمجرد النطق به يقتضي إنجازه؛ أي يحقق أفعالا. ثم قسم الإنجازيات إلى أفعال إنجازية صريحة تكون ظاهرة بشكل واضح ومباشر، وأفعال إنجازية غير صريحة (ضمنية) يكون فعلها غير ظاهر بسبب ارتباط تحقيقها بالسياق وانفتاحها على التأويل، وسماها بالأفعال الأولية.

وقد عدل **أوستين** تقسيمات الفعل الكلامي مميزا بين ثلاثة أنواع تشكل مع بعضها كيانا واحدا، وتؤدى في الوقت نفسه الذي يتلفظ فيه بالفعل، وهي:[2]

1 ـ الفعل اللفظي locutionaryact: وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه، ويتحقق ما إن تلفظنا بشيء ما.

2 ـ الفعل الإنجازيillocutionaryact: أو (الفعل المتضمن في القول) وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي. وقد عد **أوستين** هذا النوع من الأفعال محور نظرية الأفعال الكلامية، وقد خصصنا المبحث الثالث لمعالجته والتفصيل فيه.

3 ـ الفعل التأثيري perlocutionaryact: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.

(1): ملاوي صلاح الدين: "نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، العدد4، جانفي2009، ص03، 04.

(2): محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)، الإسكندرية، 2002م، ص45، 46.

ثم أعاد **جون سيرل(John.R.Serale)** تناول نظرية الأفعال الكلامية ـ التي تعد من أهم مجالات البحث اللساني التداولي، حيث كان الحديث عنها عند **أوستين** هو بداية الحديث عن التداولية ـ وطور فيها وأسهم بجهود واضحة خاصة ما تعلق بتصنيف الأفعال الكلامية الذي قدمه**أوستين،** كما قدم إضافات جديدة ووضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها النظرية حتى وصفت جهوده بأنها:« مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستين»[1]. وكون **أوستين** قد فرق بين الأفعال الإنجازية والأفعال التقريرية فقد تبعه تلميذه **سيرل** في هذا التوجه إلا أنه خطا خطوة أكثر عمقا؛ حيث ميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وهي: « التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة، والدالة على قصده بنص الخطاب»[2]، أي التي تكون قوتها الإنجازية مطابقة لما يقصده المتكلم، وبين الأفعال الإنجازية غير المباشرة التي« يرمي من خلالها المتكلمون إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى»[3]، وهي التي تخالف قوتها الإنجازية قصد المتكلم ويتم التوصل إليها من خلال التأويل.

ويمكن أن نوجز أهم الجهود والإسهامات التي قدمها **سيرل** على النحو التالي:[4]

ـ نص على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية يظهر من خلال نطق المتكلم للجملة كالنبر، التنغيم، علامات الترقيم...

ـ ربط بين الفعل الكلامي والعرف اللغوي الاجتماعي.

ـ طور شروط الملائمة عند أوستين فجعلها أربعة شروط وهي: شرط المحتوى القضوي، الشرط التمهيدي، شرط الإخلاص، الشرط الأساسي.

(1): محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص47.

(2): عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004م، ص137.

(3): فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، سورية، 2007م، ص68.

(4): علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010م، ص51، 56.

ـ عدل التقسيم الثلاثي للأفعال الكلامية حيث أبقى منه على القسمين الإنجازي والتأثيري، وجعل القسم الأول عند أوستين ـ الفعل اللفظي ـ قسمين هما: الفعل النطقي والفعل القضوي.

ـ وضح الاختلافات بين الأفعال الإنجازية.

وبذلك يمكن القول أن **أوستين** استطاع بعث نظرية للأفعال الكلامية تعتمد على ترجمة الأفعال القولية إلى أغراض إنجازية، وصنف الأفعال وفقا للقوة الإنجازية التي تؤديها، إلا أن جهوده لم تكن كافية لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنها كانت كافية لتكون نقطة انطلاق لتأسيس هذه النظرية، ثم تبنى **سيرل** اقتراحات أستاذه **أوستين** وحاول تطوير نظرية أفعال الكلام ووضع الأسس لها ومنهجتها حيث أجرى تعديلات على التقسيمات التي قدمها **أوستين** للأفعال اللغوية فكان بذلك نضج النظرية معه.

III ـ الأفعال المتضمنة في القول

ظهر هذا النوع من الأفعال الكلامية حين عدل **أوستين** في تقسيمات الفعل الكلامي مميزا بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية «العمل الأول هو العمل القولي، وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما؛ أما الثاني فهو العمل المتضمن في القول، وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما؛ أما الثالث فهو عمل التأثير بالقول وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما»[1]، ويمكن التمثيل لذلك بالمخطط التالي:[2]

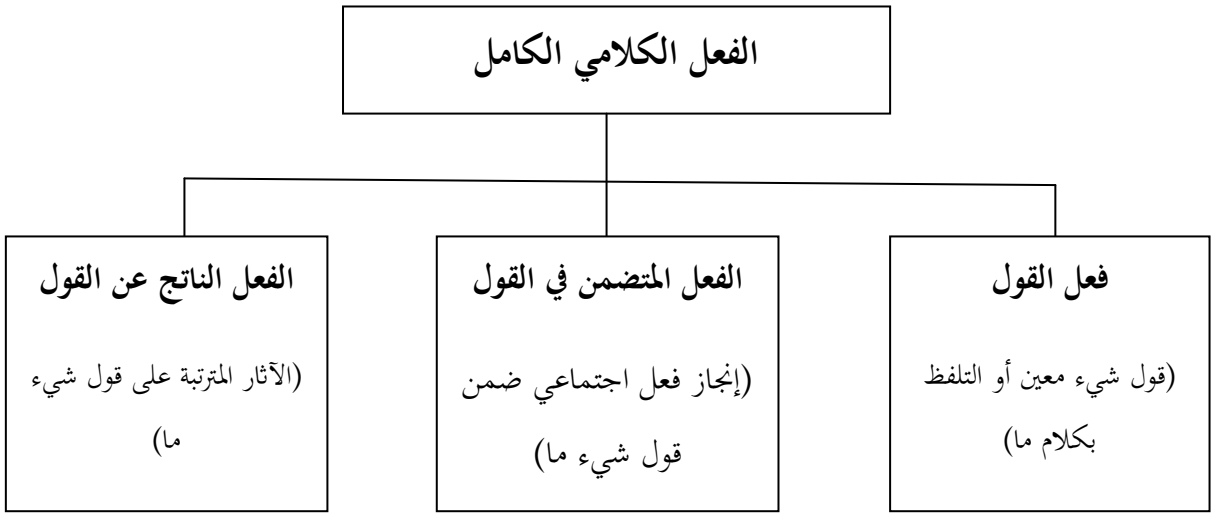

هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو الفعل الإنجازي الذي عده **أوستين** محور نظرية الأفعال الكلامية، ويصطلح عليه **الجيلالي دلاش** الفعل الإنشائي[3]، إذ« إنه عمل ينجز بقول ما»[4]، فهو بذلك يتحقق من خلال قولنا لشيء ما، كما أنه متعلق ببنية المتكلم وقصده والتأثير الذي يحدثه في السامع، ويعد **أوستين**أول من قال: «إن اللغة نشاط وعمل ينجز أي أن المتكلم لا يخبر ويبلغ

(1): آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص31، 32.

(2): مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلامية» في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص43.

(3): الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: مُحَمَّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، بن عكنون، الجزائر، (دت)، ص97.

(4): أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، مطابع إفريقيا الشرق، (دط)، الدار البيضاء، 1991م، ص112.

فحسب بل إنه يفعل أي يعمل، يقوم بنشاط مدعم بنية وقصد يريد المتكلم تحقيقه من جراء تلفظه بقول من الأقوال»[1]، فقيمة القول مرهونة بإنجازيته المقصودة، كما أن نية المتكلم و قصده الذي يريد تحقيقه من خلال تلفظه بالقول لها أهمية كبيرة تجعلها تتحكم في درجة إنجازية الملفوظ.

وقد قدم **أوستين** تصنيفا للأفعال الكلامية استنادا إلى القوة الإنجازية التي تؤديها، وذلك لما كان للفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول) من أهمية عنده حتى عده جوهر نظرية أفعال الكلام، وقد وضع تحت هذا النوع« عددا من الأصناف، بلغت خمسة، إذ يحقق المرسل هدفه، بالتلفظ بها»[2]، هذه الأصناف هي:

1 ـ أفعال الأحكام Verdicitives: وهدفها هو« إصدار الأحكام، مثلما يفعل القاضي في المحكمة، أو حكم المباراة في الملعب، وليست هذه الأحكام نهائية؛ لأن الحكم قد يكون تقديريا أو على صورة رأي»[3]، مثل: إصدار حكم، وصف، تحليل...

2 ـ أفعال الممارساتExercitives: هذا الصنف يتعلق« بممارسة السلطة، والقانون، والنفوذ، وأمثلة ذلك التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها...»[4]، أي هي كل فعل يدل على الممارسة أو التنفيذ أو يعبر عن اتخاذ القرارات.

3 ـ أفعال الإباحةCommissives: وتسمى أيضا أفعال التعهد أو الوعديات و« تتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء، مثل الوعد، والضمان، والتعاقد والقسم»[5]،أي أن غرضها الإنجازي هو حمل المتكلم على القيام بأمر ما.

(1): خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، ط2، الجزائر، (دت)، ص161.

(2): عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص156.

(3): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4): أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص174.

(5): محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص46.

4 ـ أفعال السلوك Behabitives: وهي« التي تكون رد فعل لحدث ما كالاعتذار، والشكر، والمواساة، والتحدي»[1]، أي هي الأفعال التي تختص بسلوكيات الإنسان من خلال تفاعله مع أفعال الآخرين.

5 ـ العرضيات Excpositives: وهي التي «تبين كيف أن العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش كما تكشف كيف أننا نستخدم الألفاظ وبوجه عام، يصلح هذا الصنف لطريقة العرض. وأمثلة ذلك: أجيب، وأحتج وأعارض ولكن... وأوضح، وأفترض، وأضع كمسلمة...»[2]، أي أن غرضها الإنجازي هو عرض المفاهيم بهدف النقاش أو الحجاج أو توضيح وجهة نظر.

أما **سيرل** فبالإضافة إلى تعديله للتقسيم الثلاثي للأفعال الكلامية الذي قدمه **أوستين** أعاد النظر أيضا في تصنيفات الفعل الإنجازي، فجعلها كالآتي:[3]

1 ـ التأكيدات Assertifs: وتجعل وجهة التأكيدات المتكلم ينخرط بدرجات مختلفة في حقيقة القضايا المعبر عنها، على أن يكون شيء ما حالة بالفعل، لتعين قيم الحقيقي والخاطىء.

2 ـ الأوامر Directifs: وتقوم وجهة الإنجاز في الأوامر على حصول المتكلم بواسطتها على قيام المستمع بشيء ما. ويمكن لهذه الأوامر أن تنطلق من الاقتراح الخجول، لتصل إلى المطالبة الإجبارية.

3 ـ الإلتزاماتCommissifs: هي الأفعال الإنجازية التي تكون فيها الوجهة في جعل المتكلم ينخرط في إنجاز فعل مستقبلي.

4 ـ التصريحات Expressifs: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الحالة السيكولوجية المخصصة ضمن شروط الإخلاص، وتتعلق بحالة أشياء محددة في المضمون القضوي.

5 ـ الإدلاءاتDirectifs: يقوم الإنجاز الناجح لطابع طبقة الإدلاءات، في تحصيل أحد أعضائها على التقارب المطلوب بين المضمون القضوي والواقع.

(1): محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص46.

(2):أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص174.

(3): فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (دط)، الرباط، 1986م، ص66، 67، 68.

كما طور شروط الملائمة التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا ومحققا،فجعلها أربعة شروط، و« طبقها تطبيقا محكما على كثير من الأفعال الإنجازية»[1]، وهي كالآتي:[2]

1 ـ شرط المحتوى القضويPropositional content: ويتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي، والقضوي نسبةإلى القضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع ومتحدث به أو خبر، والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية.

2 ـ الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

3 ـ شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل.

4 ـ الشرط الأساسي: ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

وعدَّ **مسعود صحراوي** متضمنات القول من أبرز المفاهيم التداولية فعرفها بقوله:« مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»[3]، ذلك أن الكلام يحمل جانبا صريحا يفهم من ظاهر الكلام، وجانبا ضمنيا يكشفه التأويل والسياق الذي ورد فيه اللفظ اللغوي، لذلك ارتبط مصطلح متضمنات القول بمفهومين هما: الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة.

1 ـ الافتراض المسبق:

يعد الافتراض المسبق أحد ركائز التداولية التي تعتمد على الخلفية المعرفية المشتركة بين أطراف العملية التواصلية، وتكون معطياته متضمنة في القول من خلال ما يمتلكه المشاركين في عملية التواصل من معلومات مشتركة ومتفق عليها تمنع ما قد يحدث من غموض أو سوء للفهم، وقد كانت دراسته « مثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين لما سببه من مشكلات حقيقية

(1): محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48.

(2): العيد جلولي: "نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل"، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ص58.

(3): مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلامية» في التراث اللساني العربي، ص30.

لكل النظريات التحويلية، فضلا عن أنها شغلت جانبا أساسيا من اهتمام علماء الدلالة، ثم برزت إلى موقع الصدارة من اهتمام الباحثين في أوائل العقد الثامن حين أصبحت الوجهة التداولية في دراسة المعنى بديلا لا غنى عنه للوجهة الدلالية في هذا الجانب»[1]، فهو لم يكن وليد الدراسات التداولية إذ برز بداية في النظريات التحويلية في عقود سابقة قبل أن ينتقل إلى اهتمامات باحثي علم الدلالة ويشكل جانبا أساسيا منها، ثم نال الصدارة في الدراسات التداولية التي أصبحت بديلا لاغنى عنه للدراسات الدلالية في هذا المجال.

وتعرف **كاترين أوركيوني** (**Katherine Kerbrat-Orecchioni**) الافتراض المسبق بأنه:« تلك المعلومات التي لم يفصح عنها، فإنها وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا بغض النظر عن خصوصيته»[2]،ومثال ذلك قولنا: أغلق النافذة، وقولنا: لا تغلق النافذة، نلاحظ أن للملفوظين خلفية افتراض مسبق مضمونها أن "النافذة مفتوحة"، وأن هناك مبررا لإغلاقها، وأن المخاطَب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الآمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب[3]، أما« مظاهر "سوء التفاهم" المنضوية تحت اسم "التواصل السيء"، فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس "الافتراضات المسبقة" الضروري لنجاح كل تواصل كلامي». وبذلك يمكن القول أن الافتراض المسبق يشكل الخلفية الذهنية المشتركة بين أطراف العملية التواصلية من خلال إسهامه في إنجاح وتسهيل عملية الإبلاغ وفهم المقاصد، لذلك عده التداوليون ركيزة أساسية من ركائز عملية التواصل.

2 ـ الأقوال المضمرة:

تعد الأقوال المضمرة النوع الثاني من متضمنات القول وأحد أسس التحليل التداولي، وهي على عكس الافتراض المسبق الذي يرتبط بالمعطيات اللغوية المشتركة بين المتخاطبين، فهي تحدد من خلال

(1):محمود احمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص27.

(2): حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل، ط2، تيزي وزو، 2012م، ص 136.

(3): محمود احمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 26.

الخطاب وسياقه. تقول **أوركيوني**: «القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»[1]، ومثال ذلك قول القائل: "إن السماء ممطرة"؛ فالسامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

ـ المكوث في بيته

ـ أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد

ـ أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر

ـ أو عدم نسيان مظلته عند الخروج

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب[2]، لأن المعنى المضمر يحدد من خلال السياق الذي يرد فيه الملفوظ، لذلك يقول **جوزيف دو فيطو (Joseph De Vito)**: «كي تتواصل الأطراف المشاركة في الحوار يستلزم الأمر امتلاك قدرة لفهم علامات الطرف الآخر ومعرفة استعمالاتها المختلفة وكذا الدلالات المختلفة التي تحملها»[3]، لأن معنى القول لا يتوقف فقط على ذلك المعنى الصريح المباشر الذي يفهم من ظاهر الكلام، بل يتعداه إلى ما يضمره المتكلم من معاني يتم الوصول إليها من خلال السياق التواصلي الذي دار فيه الحديث، حيث تقوم عملية التواصل على الاستنتاج لذلك على المخاطب أن يوظف كفاءته اللغوية التي يصل من خلالها إلى المعاني المباشرة، والكفاءة الاستنتاجية التي يقف بها على ما يضمره المتكلم وراء ملفوظاته.

(1): مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تق: حافظ إسماعيل علوي، ص44.

(2): مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلامية» في التراث اللساني العربي، ص 32.

(3): حسن بدوح: المحاورة: مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2012م، ص37.

وختاما يمكن القول إن الأفعال الكلامية يتجاوز فيها المعنى الحقيقي إلى التعبير عن مقصدية المتكلم المضمرة، وتتحدد قيمها في التواصل اللغوي من خلال ما تحدثه من أثر في المتلقي، وهنا تكمن قيمتها الحجاجية؛ لأن نجاح الإنسان أو فشله في مختلف مجالات الحياة يرتبط بكفاءته الحجاجية. ومن هذا المنطلق تعددت زوايا النظر في الحجاج ومداخل تناوله، وسيكون مدخل تناولنا له في هذا البحث من الفعل الكلامي باعتباره فعلا حجاجيا بالدرجة الأولى، وهذا ما سنحاول إيضاحه في الفصل التطبيقي

الفصل الثاني:

متضمنات القول في المقامة الرحبية للحريري ودورها الحجاجي

I ـ في سياق المدونة

I ـ 1 ـ التعريف بالحريري:

صاحب مدونتنا من أعلام القرن الخامس، سمي بالحريري نسبة إلى امتهان صناعة الحرير أو بيعه، اسمه الكامل «أبو مُحَمَّد القاسم بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري البصري الحرامي ذو البلاغتين»[1]، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة في مشان بالقرب من البصرة، ولما ترعرع انصرف إلى البصرة يأخذ عن علمائها علوم اللغة والأدب فبرع بهما وأصبح أحد الأعلام الذين يؤخذ برأيهم، فما كاد أن يفرغ من تلقيه العلم حتى جذب الأنظار إليه، وعين في ديوان الخلافة[2]، فقد كان حاد الذكاء يملك قدرة كبيرة على الحفظ، ومشهود له بالفهم.

من مؤلفاته "درة الغواص في أوهام الخواص"، أرجوزة النحو التي أطلق عليها اسم "ملحة الإعراب في النحو"، و "صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور"، كما توافر على وضع مقاماته التي حظيت بعناية فائقة من قبل العلماء والمستشرقين وتوافر عليها الشراح، و« كان أهم شرح وأصوبه شرح المطرزي (1193م ـ 590هـ) وشرح العكبري (1219م ـ 616هـ) وشرح الشريشي (1222م ـ 619هـ)»[3]، كما« ترجم شولتنز وريسكه نماذج من مقامات الحريري إلى اللاتينية في القرن الثامن عشر، وظهرت لها تراجم في كثير من اللغات الأوروبية الحديثة، مثل ترجمة روكرت Ruckert الألمانية وترجمة Steingass and chemery الإنجليزية»[4]، وقد رزق الحظوة التامة في تأليفه لهذه المقامات رغم اتهامه من قبل جماعة من أدباء بغداد في بداية الأمر أنها ليست من تصانيفه، إلى أن وجدت بعد ذلك نسخة مقامات كلها بخط يده، مشيرا فيها إلى أنه كتبها إلى الوزير

(1): شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (دط)، لبنان، 2004م، ج1، ص1380.

(2): عباس أحمد الباز: مقامات الحريري، دار بيروت، (دط)، بيروت، 1978م، ص05.

(3): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4): كامل سلمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002م، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ج4، ص480.

جلال الدين عميد الدولة أبي على الحسن بن علي بن صدقة وزير المسترشد. ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته.[1]

وكان **الحريري** يزعم أنه من ربيعة الفرس، وكان مولعا بنتف لحيته عند الفكرة، ويحكى أنه كان دميما قبيح المنظر قذرا في نفسه وشكل لبسه بخيلا رغم كونه من أغنياء البصرة، يقال: كان له ثمانية عشر ألف نخلة[2]، فقد كان من ذوي الغنى واليسار إلى جانب علمه الواسع وتمكنه من فنون العربية. «توفي سنة ست عشرة، وقيل خمس عشرة بالبصرة في سكة بني حرام»[3]، ونسبته بالحرامي إلى هذه السكة.

يتضح من ذلك أن الحريري هو أحد أدباء العصر العباسي، عاش الترفين المادي والأدبي، وربما انعكس ذلك على أسلوبه في الكتابة وميله لفن المقامة.

I ـ 2 ـ التعريف بالمقامة الرحبية:

عرف الأدب العربي نوعا من النثر الأدبي في القرن الثالث الهجري على أيدي كتاب محترفين وهو النثر المسجوع الذي أضحى أسلوبا مميزا وضروريا لدى الأدباء. ومن رحم هذا النوع الأدبي ظهر فن جديد يدعى فن المقامات الذي يعود الفضل في ابتكاره إلى **بديع الزمان الهمذاني** (398هـ) فاتحا بابه الواسع ليلجه أدباء كثيرون أتوا بعده، ولعل أشهرهم **أبو مُحَمَّد القاسم الحريري** الذي بلغ شأنا عظيما ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات، فقد« اشتملت على كثير من بلاغات العرب في لغاتها، وأمثالها، ورموز أسرار كلامها، ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل»[4]،

(1): شمس الدين أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، (دط)، بيروت، 1978م، مج4، ص63.

(2): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري البصري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، لبنان، 2005م، ص05، 06.

(3): شمس الدين أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص67.

(4): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري البصري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص03.

فإذا كان **الهمذاني** السباق والمبتكر لهذا الفن، فإن عمل **الحريري** عد ثروة لغوية ثرية لها منزلة خاصة جعلتها ربما في منزلة تالية للقرآن الكريم والحديث الشريف.

والمقامة هي:«حكاية تقال في مقام معين وتشتمل على الكثير من درر اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال والأشعار النادرة التي تدل على سعة إطلاع وغزارة مادة وطول باع وعلو مقام في عالم الأدب»[1]، وقد وقع اختيارنا على واحدة من مقامات **الحريري** لتخدم دراستنا وهي المقامة الرحبية.

وهي مقامة نسبت إلى المكان الذي قيلت فيه، يرويها **الحريري** على لسان "الحارث بن همام"، وتسميته للراوي بهذا الاسم «إنما عنى به نفسه... وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: كلكم حارث وكلكم همام، فالحارث الكاسب، والهمام الكثير الاهتمام: وما من شخص إلا وهو حارث وهمام، لأن كل واحد كاسب ومهتم بأموره»[2]، هذا الاسم يحمل معنى القوة والتحمل، والعمل المتواصل والتنقل الدائم من أجل كسب القوت. أما بطلها "أبو زيد السروجي" فقد « كان شيخا فصيح الكلام، حسن العبارة، سمعه الحريري وهو في المسجد ببني حرام فأعجب به وأنشأ المقامة الحرامية وعزاها إلى أبي زيد المذكور. وكانت أولى مقاماته. ويبدو من رواية ابن خلكان أن أبي زيد هذا هو المطهر بن سلام. وكان نحويا بصريا صحب الحريري واشتغل عليه بالبصرة وروى عنه»[3]، فقد كان واسع العلم لذلك وقع عليه الاختيار ليكون بطل المقامة، إلا أنه ظهر كشخصية محتالة محبة للمال مستغلا موهبته في حسن صياغة الكلام والفصاحة ، وساعده ابنه في تنفيذ عملية الاحتيال وهو لا يقل عنه فصاحة.

وتتضمن المقامة الرحبية دعوى "أبي زيد" على غلام مليح أنه قتل ابنه، فتخاصما إلى قاضي البلد، إذ يدعي الشيخ أن الغلام قتل ابنه وأنه يريد القصاص. وقد كان الوالي يتهم بالقبائح ويغلب

(1): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2006م، مج1، ص03.

(2): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري البصري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص03.

(3): طه ندا: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، (دط)، بيروت، 1991م، ص180.

حب البنين على البنات، وقد أعجب بجمال هذا الغلام وافتتن بحسنه فأراد بذلك أن يدفع الدية نيابة عنه، فاستطاع أن يقنع الشيخ بقبول المال ليخلص الغلام ويختصه لنفسه. ليتضح بعد ذلك أن الشيخ ما هو إلا "السروجي" وأن الفتى ما هو إلا ابنه، وأنه استطاع أن يجعل الحيلة تنطلي على الوالي مستخدما ابنه في ذلك، خاصة وأنه كان شديد الحسن والجمال وهذا ما جعل الوالي يقع ضحية المكر والاحتيال، فيحقق بذلك "السروجي" هدفه في الحصول على عطاء الوالي ويختفي من الرحبة.

هذه المقامة التي اخترناها مدونة للدراسة والتي عكست براعة **الحريري** وفصاحته الأدبية قد أسهمت في بيان كفاءته الحجاجية، وقدرته على الإقناع والتأثير في الآخر، من خلال الراوية الذي اختاره لينقل أحداث المقامة على لسانه، ويكون شاهدا على موقفه وراصدا لأخباره، وبطلها الذي استطاع أن يحتال بفصاحته وحسن لفظه وحلاوة لسانه على والي البلد، باستخدام ابنه من أجل الحصول على المال، مستغلا ما يملكه من موهبة في جميل الكلام، وحسن اختيار الحجج، وإنجاز الأقوال، حتى يستميل عواطف المستمعين.

وسنحاول في هذه الدراسة بيان دور الأفعال الكلامية المتضمنة في القول والمستلزمة مقاميا في تحقيق القيمة الحجاجية للقول، متبعين في ذلك تصنيفات "أوستين" للأفعال الكلامية التي قدمها استنادا إلى القوة الإنجازية التي تؤديها، وذلك لما كان للفعل المتضمن في القول من أهمية عنده حتى عده جوهر نظرية أفعال الكلام.

II ـ متضمنات القول في المقامة الرحبية للحريري ودورها الحجاجي

II ـ 1 ـ أفعال الأحكام:

الأنموذج الأول:

قال **الحريري**:« حَكَى اَلْحَارِثُ بْنُ هَمَّام، قَالَ: هَتَفَ بِي دَاعِي اَلشَّوْقِ، إِلَى رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ، فَلَبَّيْتُهُ مُمْتَطِياً شِمِلَّةً، وَمُنْتَضِياً عَزْمةً مُشْمَعِلَّةً.فَلَمَّا أَلْقَيْتُ بِهَا اَلْمَرَاسِي، وَشَدَدْتُ أَمْرَاسِي، وَبَرَزْتُ مِنَ اَلْحَمامِ بَعْدَ سَبْتِ رَأْسِي، رَأَيْتُ غُلَاماً أُفْرِغَ فِي قَالَبِ اَلْجَمَالِ، وَأُلْبِسَ مِنَ اَلْحُسْنِ حُلَّةَ اَلْكَمَالِ»[1]

استخدم **الحريري** أسلوبا خبريا مباشرا غرضه تقرير المعنى ووصفه وتوضيحه وهذا تماشيا مع ما يعرضه من وقائع قد تحتمل الصدق أو الكذب، والخبر كما هو معروف عند القدامى هو:« ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه. وهو إفادة المخاطَب أمرا في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم. نحو ((قام زيد)) و ((يقوم زيد)) و ((قائم زيد)). ثم يكون واجبا وجائزا وممتنعا. فالواجب قولنا: ((النار محرقة)). والجائز قولنا: ((لقي زيد عمرا))والممتنع قولنا: ((حملت الجبل)) »[2]. هذا النوع من الأساليب هو الأفعال التقريرية أو الوصفية التي تطرق إليها **أوستين** حين عمد إلى تصنيف الأفعال الكلامية في مرحلته الأولى وفقا لمعيار الصدق أو الكذب.

وهذه الفقرة تنضوي تحت صنف الحكميات، كونها تفيد التقرير والوصف، وهذا ما يدل عليه ظاهر الكلام من خلال ما يرويه الحارث بن همام الذي كلفه **الحريري** بتقديم أحداث هذه المقامة والذي اختاره دائما لنقل أحداث مقاماته. وقد استخدم **الحريري** في قوله هذا أسلوبا خبريا دل على فعل كلامي مباشر غرضه الوصف أو التقرير ليولي عنايته بتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي كونه يصف شعوره حين تحرك في قلبه شوق دعاه إلى زيارة الرحبة، وهي« مدينة شهيرة من عمالة الفرات،

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص99.

(2): أحمد أبو الحسين بن فارس بن زكريا الرازي: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 1993م، ص183.

بناها مالك بن طوق، ووليها فنسبت إليه»[1]، فأجابه راكبا ناقة سريعة وكله حب وشوق إلى زيارة الرحبة، وضرب لذلك المثل بإلقاء المراسي وشد الأمراس و« المراسي: هي محابس السفينة، أمراسي: حبالي، يريد أنه استعد للإقامة وترك السفر»[2]، ولما خرج من الحمام بعد حلق رأسه ـ كون أهل المشرق متى دخلوا الحمام حلقوا رؤوسهم ـ رأى غلاما من شدة جماله وحسنه كأنه أفرغ في قالب الجمال.

وتضمنت هذه الفقرة قوة إنجازية غير مباشرة تمثلت في المدح والثناء إلى الرحبة ومالكها كونه كان ملكا شجاعا جوادا وعادلا، محبوبا بين قومه حتى قال فيه الشعراء كثيرا من أشعار المدح له ولرحبته. واستخدام **الحريري** للأفعال الماضية الدالة على التقرير (هتف، لبيته، ألقيت...)، وضمير (الهاء) الغائب الذي يحيل إلى الرحبة زاد من القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي غير المباشر، كما تنقل لفظة (أمراسي) صورة بالغة الروعة عن مستوى الحياة في البلاد العربية خلال العصور الوسطى، أما كلمة (عزمة) فبالإضافة إلى ما تحيل إليه من القصد إلى أمر من الأمور بكل شوق وحب فقد أسهمت في الإشارة إلى معاني ضمنية أخرى وهي المدح والإعجاب إلى بلد الفرات، كل هذه المعاني ضمنية لم يصرح بها الحريري في قوله إنما نفهمها من خلال تأويل الكلام.

فهذا الفعل الكلامي مكون من الفعل اللفظي أو فعل القول وهو تآلف التركيب الصوتي والنحوي، والفعل المتضمن في القول وهو إنجاز هذا الفعل الكلامي، وما يحدثه الفعل الإنجازي من أثر في نفس المتلقي هو ما نطلق عليه فعلا تأثيريا.

وبذلك يمكن القول أن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول تكمن في البعد التفاعلي للغة الذي حققته المقولة من خلال فعل القول الذي تلفظ به **الحريري** فأنتج بذلك فعلا إنجازيا تمثل في المدح والثناء والتعظيم إلى هذا المكان وإلى مالكه، وبالتالي استطاع تحقيق هدفه الخطابي، منجزا

(1): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص261.
(2): المرجع نفسه، ص262.

بذلك فعلا تأثيريا تمثل في نقل تلك الصورة التي أراد بثها وتجسيدها في ذهن المتلقي، والتي تعكس صورة الحياة وجمالها في العصر العباسي.

الأنموذج الثاني:

قال **الحريري**:« فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ اَلْمَالِكُ لِذَلِكَ، مَعَ وَجْدِكَ اَلْمُتَهَالِكِ، عَلَى ابْنِكَ اَلْهَالِكِ»[1]

جاء قوله هذا بصيغة خبرية دلت على فعل كلامي مباشر غرضه التقرير، فالقاضي الذي احتكم إليه الشيخ المدعي أن الغلام قتل ابنه قرر أن يترك الخيار للشيخ فيما سيقوم به، واحتوى قوله هذا فعلا إنجازيا غير مباشر تمثل في طمع القاضي في هذا الغلام الذي أعجب وافتتن بشدة جماله وحسنه فكان يبحث عن طريقة ليخلصه من التهمة التي ألقاها الشيخ عليه ليكون ملكه.

وقد استخدم **الحريري** ضمير (الكاف) الدال على التحديد والتخصيص بشكل متتالي، و« لا شك أن الضمائر تلعب دورا هاما جدا في علاقة الربط فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه ومن هنا يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة»[2]، وكون الضمائر لها أثر بالغ في ترجمة الدلالات الغائبة في الخطاب فهي تسهم في تحقيق أبعاد حجاجية من خلال الإقناع والأثر الذي تتركه في المتلقي.

هذه المعاني الضمنية التي لم يصرح بها ظاهر فعل القول الدال على التقرير، ولا تتحقق إلا من خلال التأويل وربط الكلام بالسياق التواصلي الذي دار فيه الحديث، والتي جعلت من الفعل الكلامي حدثا مؤثرا، أو ما نطلق عليه فعلا تأثيريا هي التي يمكن القول أنها حققت قيمة حجاجية في النص، لذا لابد على المتلقي أثناء قراءته ألا يكتفي بكفاءته اللغوية التي يصل من خلالها إلى المعنى المباشر فحسب، إنما يجب أن يوظف الكفاءة الاستنتاجية التي يقف بها على ما يضمره المتكلم من

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100.

(2): تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة،(دط)، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص113.

معاني وراء ملفوظاته، وأن يستعين بما يملكه من خلفية افتراض مسبق لطالما ارتبط مصطلح متضمنات القول بمفهومي: الافتراض المسبق والأقوال المضمرة.

الأنموذج الثالث:

وقال **الحريري**:« وَلَمْ يَزَلِ التَّلَاحِي بَيْنَهُمَا يَسْتَعِرُ، وَمَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعِرُ. وَالْغُلَامُ فِي ضِمْنِ تَأَبِّيهِ، يَخْلُبُ قَلْبَ الْوَالِي بِتَلَوِّيهِ، وَيُطْمِعُهُ فِي أَنْ يُلَبِّيه. إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِه، وَ أَلَبَّ بِلُبِّهِ. فَسَوَّلَ لَهُ الوَجْدُ الّذِي تَيَمَّهُ،والطَّمَعُ الَّذِي تَوَهَّمَهُ، أَنْ يُخَلِّصَ الغُلَامَ ويَسْتَخْلِصَهُ، وأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حِبَالِهِ الشَّيْخِ ثُمَّ يَقْتَنِصُهُ»[1]

ينضوي هذا القول تحت صنف الحكميات باعتباره يصف حال الشيخ والغلام وهما ينفذان عملية الاحتيال والمكر المخطط لها من قبل الشيخ، مستخدما ابنه الذي أعجب به الوالي وافتتن بشدة جماله واستحسن طريقة كلامه، والذي:« في أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يطمع الوالي في الانقياد له، وإنه إذا دعاه لما يريده منه أجابه، وإنما فعل هذا حين رأى إدامة نظر الوالي في وجهه، واستحسانه كلامه»[2]، خاصة أن الوالي أراد أن يختص هذا الغلام لنفسه فانطلت بذلك عليه الحيلة التي أراد الشيخ أن يوقعه فيها لنهب أمواله.

وقد أنجز هذا الفعل الكلامي المباشر الذي تلفظ به **الحريري** فعلا متضمنا في القول، تمثل في حب الشيخ للمال الذي جعله يستخدم ابنه ليحقق هدفه في الحصول على عطاء الوالي. وقد دعمت الأفعال المضارعة (يزل، يستعر، تأبيه، يخلب، يطمعه، يلبيه ...) التي وظفها الحريري بشكل متتالي القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي الغير مباشر كونها تدل على الحال و الاستقبال والحركية، كما تدل أيضا على دوام حالة صاحب الفعل ـ إذ عرف باحتياله على الولاة والقضاة في كثير من المقامات ـ وهنا تكمن قوته الإنجازية.

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص102.

(2): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص293.

الأنموذج الرابع:

قال **الحريري**:« قَالَ اَلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَجَ اَلشَّيْخِ كاَلْحُجَجِ اَلسُّرَيْجِيَّةِ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلُمَ اَلسَّرُوجِيَّةِ»[1]

دلت هذه العبارة بصيغتها الخبرية على فعل كلامي مباشر غرضه التقرير والوصف لما اكتشفه الحارث بن همام من أن الشيخ الذي يدعى مقتل ابنه على يد الغلام ما هو إلا السروجي، وذلك من خلال الحجج التي قدمها، فقوله:« الحجج السريجية منسوبة إلى أحمد بن سريج، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة»[2]، أما قوله « علم السروجية»[3] فيقصد به عظيم أهل سروج وهو أبو زيد، وسمي بذلك نسبة إلى "سروج" بلده، فقد تعرف الحارث على المدعي وأدرك أنه أبو زيد من خلال الحجج التي قدمها.

ونسبة اسمه إلى بلده ربما يعود إلى كونه مغترب، فعادة ما يطلب الانتساب إذا كان المرء في غير وطنه وبعيدا عن أرضه، وهو ما رسخ فكرة أن المال مصدر قوة عنده، إذ يختفي في هذه المقامة خلف صورة الرجل المحتال لأجل المال والمنفعة التي سعى إليها بطرق غير مشروعة، وهذا ما لم يشر إليه ظاهر الكلام ولم يصرح به فعل القول إنما فهمناه من خلال التأويل وفق ما يفرضه السياق.

فظاهر فعل القول هنا يدل على التقرير والوصف، أما الفعل المتضمن في القول والمستلزم مقاميا فتمثل فيما يشير إلي الاسم ـ أبو زيد ـ الذي جاء بعد اسم منسوب "السروجي" نسبة إلى بلده، فعند عودتنا إلى المعاجم نجد أن الاسم "زيد" يدل على« الزيادة: النمو... والزيادة خلاف النقصان»[4]؛ الزيادة في كل شيء في القوة والمال... أما لفظ "أبو" فعادة ما يشير إلى السلطة، فنكون بذلك أضفنا المال إلى السلطة والذي تحول إلى مصدر قوة عند أبي زيد خاصة بعد اغترابه عن

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص103.
(2): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص296.
(3): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص103.
(4): جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ص359.

دياره وأرضه، وبذلك حقق هذا الفعل المتضمن في القول بعدا حجاجيا من خلال الفعل المنجز الذي جعل من الفعل الكلامي حدثا مؤثرا، وهو ما نطلق عليه فعلا تأثيريا والذي تمثل في الشعور الذي يعيشه السروجي جراء اغترابه عن وطنه ورؤيته المغلوطة عن نفسه وعن الحياة؛ لأنه يرى أن المال وحده هو الذي يمثل مصدر القوة والسلطة وهو ما يعطي المكانة للشخص بين قومه.

2 ـ أفعال الممارسات:

الأنموذج الأول:

قال **الحريري**:« إِلَى أَنْ تَرَضَيَا بَعْدَ اشْتِطَاطِ اَللَّدَدِ بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي اَلْبَلَدِ. وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِاَلْهَنَاتِ، وَيُغَلِّبُ حُبَّ اَلْبَنِينِ عَلَى اَلْبَنَاتِ. فَأَسْرَعَا إِلَى نَدْوَتِهِ، كَالسُّلَيْكِ فِي عَدوَتِهِ»[1]

دل هذا القول بصيغته الخبرية على فعل كلامي مباشر يعبر عن اتخاذ قرار والاحتكام إلى رأي بعد اشتداد الخصومة، وهو ما جعلنا نضعه تحت صنف الممارسات التي ذكرنا سابقا أنها:« الأفعال التي تجلي ممارسة الحق، ولها القوة في فرض واقع جديد مثل: الانتخاب، التعيين (الرسمي)، الاستشارة، الترشيح... وهو تحكيم أكثر منه تقدير، وقرار أكثر منه حكم»[2]. إذ يظهر أن الحريري يذكر على لسان "الحارث بن همام" كيف احتكما الغلام والشيخ إلى رأي واحد بعد شدة الخصومة وهو طلب التحاكم إلى والي البلد للخروج بحل، إلا أن هذا الوالي كان« يزن بالهنات: أي يتهم بالقبائح... ويغلب حب البنين على البنات»[3]، فقد كان مشتهرا بحبه للغلمان خاصة وأنه أعجب وافتتن بشدة جماله، وهذا ما يريد الشيخ والغلام أن يصلا إليه ليحققا هدفهما في الاحتيال عليه. ثم أسرعا إلى مجلس هذا القاضي وضرب **الحريري** لذلك مثلا بقوله:« كالسليك في عدوته»[4]، والسليك هو أحد السعاة الأربعة المضروب بهم المثل في العدو؛ فقد يسبق الخيل على رجليه.

---

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100.

(2): عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، ط2، تيزي وزو، 2013م، ص150.

(3): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص267.

(4): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100.

وقوله هذا يحتوي فعلا إنجازيا غير مباشر وهو عملية الاحتيال التي يخطط لها الشيخ رفقة ابنه للحصول على عطاء الوالي، وما جعلهم يحتكمون إليه هو كونهم على معرفة مسبقة بأنه يتهم بالقبائح ومولع بالغلمان. وقد دعم التوازن الصوتي الذي اعتمده **الحريري** في هذا القول القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي الغير مباشر؛ لما للسجع من غاية موسيقية تجعل الكلام أحسن سمعا ووقعا في النفس فيرسخ في الذهن ويؤكد المعنى ويقويه ليولي بذلك عنايته بتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، وهنا تكمن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول.

الأنموذج الثاني:

يقول **الحريري**:« فَلَمَّا حَضَرَاهُ جَدَّدَ اَلشَّيْخُ دَعْوَاهُ، وَاسْتَدْعَى عَدْوَاهُ. فَاَسْتَنْطَقَ اَلْغُلَامَ وَقَدْ فَتَنَهُ بِمَحَاسِنِ غُرَّتِهِ، وَطَرَّ عَقْلَهُ بِتَصْفِيفِ طُرَّتِهِ»[1]

استخدم **الحريري** أسلوبا خبريا مباشرا يدل على الممارسة من خلال طلب الشيخ للإغاثة من قبل الوالي الذي أمر الغلام ـ المتهم بقتل ابن الشيخ ـ بأن ينطق وقد أعجب بحسن وجهه وتصفيف شعره المعتدل على جبهته، هذا ما نستشفه من المعنى المباشر للقول الذي نصل إليه باستخدام الكفاءة اللغوية.

وقد أنجز هذا الفعل الكلامي المباشر فعلا آخر ضمنيا مستلزما في القول تمثل في رغبة الوالي في استنطاق الغلام لا ليقول حجته إنما ليرى حسنه وحلاوته من صورته التي اشتد افتتانه بها، وقد أكد ذلك اعتماده التوازن الصوتي في أواخر الكلمات بشكل منتظم، فحرف (الهاء) المهموس وانعكاس جرسه إنما يدل على السكينة والطمأنينة والهدوء التي يحاول الوالي بثها في قلب الفتى رغبة منه في أن يختصه لنفسه.

وبذلك يمكن القول أن هذا الفعل الكلامي مكون من فعل القول الذي يجسده تآلف الجانب الصوتي والتركيبي والدلالي، والفعل المتضمن في القول الذي تلفظ به الحريري فأنجز من خلاله معنى

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100.

إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي، وهو رغبة الوالي في استنطاق الغلام ليرى حسنه بعد إعجابه الشديد به. والفعل التأثيري المتمثل فيما تركه الفعل الإنجازي من أثر في نفس المتلقي؛ أي من خلال التحذير والتنبيه إلى عدم الانقياد إلى أهواء النفس واتباعها حتى لا يؤدي بنا ذلك إلى ما لم يكن في الحسبان، هذه الأفعال الثلاثة التي تؤدى في الوقت نفسه الذي يتلفظ فيه بالفعل هي ما يحقق بعدا تفاعليا للغة وبالتالي تكسب الفعل المتضمن في القول قيمة حجاجية.

الأنموذج الثالث:

قال **الحريري**:« فَقَالَ اَلْوَالِي لِلشَّيْخُ: إِنْ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ، وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ اَلْيَمِينَ»[1]

تضمن ملفوظه هذا فعلا كلاميا مباشرا تمثل في أسلوب الشرط الذي اعتمده **الحريري** من خلال أداة الجزم (إنْ) التي تستعمل في« المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة والمستحيلة وسائر الافتراضات الأخرى، فهي لتعليق أمر بغيره عموما»[2]، ثم إن فعل الأمر (استوف) ـ وغالبا ما يكون غرض الأمر الإقناع وإثارة ذهن المخاطب ـ هو ما جعلنا نضع هذا القول تحت صنف الممارسات باعتبارها تدل على كل ما يؤول إلى التنفيذ والممارسة، فالوالي يطلب من الشيخ أن يحضر شهودا من المسلمين ليتأكد من صحة قوله فإن لم يتأتى ذلك فيجعل الغلام يستكمل اليمين.

هذه الجملة التي تلفظ بها **الحريري** تمثل فعلا قوليا جسده تآلف التركيب الصوتي والدلالي والصرفي، ليعبر عن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا وهي رغبة الوالي في إيجاد مخرج وطريقة يخلص بها الغلام من التهمة التي ألقاها عليه الشيخ وتبرئته منها لشدة إعجابه به، ويقصد من وراء ذلك إنجاز فعل تأثيري بتحكيم العقل لدى القضاة وعدم الانقياد وراء العاطفة والمشاعر أثناء القيام بالمهام حتى لا يقعوا في المكيدة التي تعرض لها هذا القاضي بسبب حبه للغلام وافتتانه به، وهنا تكمن القيمة

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100.
(2): فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، جامعة بغداد، (دط)، بغداد، 1990م، ج4، ص448.

الحجاجية لهذا الفعل المتضمن في القول.

الأنموذج الرابع:

قال **الحريري**:« وَأَبَى اَلشَّيْخُ إلاَّ تَجْرِيعَهُ اَلْيَمِينَ اَلَّتِي اخْتَرَعَهَا، وَأَمْقَرَ لَهُ جُرَعَهَا»[1]

تضمنت هذه الجملة فعلا كلاميا مباشرا يدل على الممارسة، وهي دلالة نفهمها من خلال القرائن اللغوية الحرفية المتمثلة في الفعل (أبى) الذي يوحي إلى الإصرار، إذ ألح الشيخ على إلزام الغلام وتكليفه بتلك اليمين التي اخترعها وطلب منه الحلف بها أمام قاضي البلد.

وفعل القول هذا تلفظ به **الحريري** فأنتج فعلا إنجازيا، تمثل في تلوي الشيخ وانعطافه أمام القاضي ليجعله يعجب بابنه فيستطيع بذلك تحقيق هدفه، فهذه اليمين التي أصر على إلزامه بها يجلو من خلالها محاسن ابنه ليريه كمال هذا الغلام فيشتد حبه وافتتانه به. وهي القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا، لأن **الحريري** حقق الغاية من خطابه، وهو الفعل التأثيري، من خلال تنبيهه للمتلقي بالحذر من هذه الفئة التي تستغل موهبتها في التسلط على الناس والاحتيال عليهم

الأنموذج الخامس:

قال **الحريري**:« فَقَالَ: أَرَى أَنْ تُقْصِرَ عَنِ اَلْقِيلِ وَاَلْقَالِ، وَتَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى مَائَةِ مِثْقَالٍ، لأَتَحَمَّلَ مِنْهَا بَعْضاً، وَأَجْتَبِيَ اَلْبَاقِيَ لَكَ عُرْضاً»[2]

دلت هذه العبارة بصيغتها الخبرية على فعل كلامي مباشر تمثل في النصح، والمراد منه تقديم الوالي نصيحة للشيخ بعد اليمين التي اخترعها وأراد من الغلام أن يحلف بها ليقنعهم أنه لم يقم بقتل ابن الشيخ، إلا أن الغلام أبى الحلف بهذه اليمين، إذ يقول:« الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف بها أحد»[3]، فأراد بذلك الوالي الوصول إلى حل فطلب من الشيخ أن

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص102.

(2): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص292.

يكف عن كل كلام ليقوم هو نفسه بتحمل مسؤولية هذا الولد المعجب به وبصورته ويدفع الدية نيابة عنه.

وفعل القول هذا تلفظ به الحريري فأنجز بذلك فعلا آخر مستلزما في القول تمثل في المكر والخديعة التي أراد الشيخ رفقة ابنه ممارستها على هذا القاضي لنهب أمواله من خلال جعله يعجب بابن الشيخ حتى تنطلي عليه الحيلة، وتخطيطه هو الآخر ليختص هذا الغلام لنفسه لهذا أراد أن ينقد هو الشيخ بدلا عن الغلام، دون أن يدري أن الفتى ما هو إلا ابن الشيخ. وبالتالي استطاع **الحريري** من خلال هذا الفعل المنجز أن يبلغ فكرته إلى المتلقين ليؤثر فيهم ويجعلهم يحذرون من مثل هؤلاء الأشخاص المحتالين، وينبههم بأخذ الحيطة والحذر حتى لا يقعوا في المكيدة التي تعرض لها القاضي بسبب تصرفه بعاطفة دون تحكيم عقله، وبذلك يكون قد أنجز فعلا تأثيريا، وهنا تكمن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول.

3 ـ أفعال الإباحة:

الأنموذج الأول:

قال **الحريري**:« فَقَالَ اَلشَّيْخُ لِلْغُلَامِ: قُلْ وَاَلَّذِي زَيَّنَ اَلْجِبَاهَ بِاَلطُّرَرِ، وَاَلْعُيُون بِاَلْحَوَرِ، وَاَلْحَوَاجِبَ بِاَلْبَلَجِ، وَاَلْمَبَاسِمَ بِاَلْفَلَجِ، وَاَلْجُفُونَ بِاَلسَّقَمِ..... وَبَدْرِي بِاَلْمُحَاقِ، وَفِضَّتِي بِاَلِاحْتِرَاقِ، وَشُعَاعِي بِاَلإِظْلَامِ، وَدَوَاتِي بِاَلأَقَلَامِ»[1]

تنضوي هذه الفقرة تحت صنف أفعال الإباحة ويطلق عليها أيضا أفعال التعهد أو الوعديات، وغرضها الإنجازي حمل المتكلم على إنجاز فعل ما كالقسم مثلا الذي أراد الشيخ من الغلام الحلف به أمام قاضي البلد، وهو في هذه اليمين يجلو محاسن الغلام عليه وهي القوة الإنجازية المتضمنة في القول، حيث« ذكر صفات الحسن شيئا بعد شيء، ليري هذا الوالي كمال الغلام، فيشتد حبه فيه، فإذا ذكر

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100، 101.

صفة من صفاته نبه الوالي بذكرها على النظر إليها، فوجدها كما يصف»[1]؛ كوصفه لاعتدال شعره على جبهته، والحوَر في العينين وهو« شدة بياض البياض وسواد الكحل»[2]، ونقاء ما بين حاجبيه من الشعر التي تعد صفة« من علامات السيادة عند العرب، ويُتمدح به ويُتيمن بصاحبه»[3]، والتباعد ما بين أسنانه وهو مستحب في الثغر... إلى غير ذلك من صفات الحسن التي تبين كمال هذا الغلام في نظر القاضي حتى يشتد إعجابه به ويقع في المكيدة التي خطط لها الشيخ، رغبة في التسلط على أمواله كونه ظهر كشخصية محتالة ومحبة للمال في كثير من المقامات التي ألفها **الحريري** ظنا منه أن المال وحده هو مصدر القوة.

وقد زاد التوازن والتنوع الصوتي الذي اعتمده في أواخر الكلمات بتنظيم محكم من درجة إنجازية هذا الفعل الكلامي الغير مباشر لما يحققه من تنغيم موسيقي للكلام، ورغم عده من المحسنات اللفظية إلا أن له وقع وأثر حسن ترتاح له النفس وتطرب له الأذن فيرسخ المعنى في الذهن ويؤكده ويقويه، وكون كلامه أدبيا راقيا جعل الوالي لا يتجه إلى تحكيم عقله أو الشك في قوله فكما هو معروف عن القضاة والولاة آنذاك أنهم يقدرون الأدب والأدباء ويفتتنون بالكلام القائم على البديع والتجنيس.

ولعل القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول تكمن فيما حققته المقولة من تفاعل من خلال فعل القول الدال على القسم الذي تلفظ به **الحريري**، فأنتج بذلك فعلا أدائيا غير مباشر تجلى في تعداد محاسن وصفات الغلام على مسمع الوالي ضمن القسم الذي اخترعه وأراد تجريعه للغلام، فذكره لكل صفة تجعله ينبه الوالي بالنظر إليها ليتبين له حقيقة كمال هذا الغلام وحسنه، ومن الطبيعي أن يترك هذا الفعل المنجز أثرا في نفوس المستمعين باعتباره يغير من حال المتلقين بالتأثير عليهم، والذي تمثل في التنبيه والتحذير من الوقوع في هذا النوع من المكائد، وهو ما نطلق عليه فعلا تأثيريا.

(1): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص277.
(2): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(3): المرجع نفسه، ص278، 279.

الأنموذج الثاني:

قال **الحريري**:« فَقَالَ اَلشَّيْخُ: مَا مِنِّي خِلَافٌ، فَلَا يَكُنْ لِوَعْدكَ إِخْلَافٌ. فَنَقَدَهُ اَلْوَالِي عِشْرِينَ، وَوَزَّعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَكْمِلَةَ خَمْسِينَ. وَرَقَّ ثَوْبُ اَلأَصِيلِ، وَانْقَطَعَ لِأَجْلِهِ صَوْبُ اَلتَّحْصِيلِ»[1]

تضمن هذا الملفوظ فعلا كلاميا مباشرا يدل على التعاقد، المراد منه تعاقد الشيخ والوالي على أن يدفع هذا الأخير الدية نيابة عن الغلام إعجابا وحبا له ولصورته، خاصة أنه كان ممن يفضلون البنين على البنات.

وقد أنجز هذا الفعل الكلامي المباشر فعلا آخر متضمنا في القول تمثل في تحقيق السروجي هدفه في الحصول على عطاء الوالي بعد أن جعله يعجب بحسن ابنه وجماله وفصاحة لسانه، فقد أراد الاحتيال على القاضي باستصحاب ابنه وجعله يبدو خصما له. وقد دعمت جملة« ما مني خلاف، فلا يكن لوعدك إخلاف»[2] القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي الغير مباشر، إذ استغل ما يملكه من موهبة في جميل الكلام وحسن اللسان والفصاحة حتى يستطيع سلب عقل القاضي ويقنعه بحسن نيته فتنطلي بذلك عليه الحيلة. وزاد ضمير (الكاف) المخاطب في لفظ (لوعدك) الذي يحيل إلى القاضي ويدل على التحديد والتخصيص وتحميل المسؤولية تأكيدا لدلالتها.

هذه المعاني الضمنية لم يصرح بها ظاهر فعل القول الذي دل هنا على التعاقد، إنما نفهمها من خلال التأويل وربط الكلام بسياقه التواصلي. وبذلك استطاع **الحريري** من خلال هذا الفعل المنجز أن يبلغ فكرته إلى المستمعين فيؤثر فيهم بتنبيههم ببعض الحيل التي يستخدمها البعض من أجل الحصول على المال، محققا بذلك هدفه الخطابي ومنجزا فعلا تأثيريا.

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص102، 103.
(2): المصدر نفسه، 102، 103.

الأنموذج الثالث:

قال **الحريري**:« فَقَالَ: خُذْ مَا رَاجَ، وَدَعْ عَنْكَ اَللَّجَاجَ. وَعَلَيَّ فِي غَدٍ أَنْ أَتَوَصَّلَ، إِلَى أَنْ يَنِضَّ لَكَ اَلْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ»[1]

يندرج هذا القول ضمن صنف أفعال الإباحة كونه يتضمن وعدا بإنجاز فعل تعهد من خلاله الوالي على إكمال ما تبقى من المال الذي دفعه للشيخ نيابة عن الغلام المحب لصورته والمفتتن بجماله، إذ طلب منه أخذ ما راج؛ أي« حضر وتيسر، ويقال: راج الشيء رَوْجا فهو رائج إذا جاء سريعا»[2] على أن يجتهد ليكمل له الباقي نقدا في اليوم الموالي.

هذا القول الذي تلفظ به الحريري أنجز من خلاله فعلا آخر مستلزم مقاميا، تمثل في التحذير والتنبيه إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر حتى يلفت نظر المتلقين ويحيطهم علما بقدرة المتسلطين على أموال الغير على القيام بكل ما هو غير متوقع من أجل الحصول على المال. ولم يكن اعتماده لأفعال الأمر في هذا القول بداعي الدلالة على الطلب الجازم كما يشير إليه ظاهر الكلام، وهذا هو الأصل في الأمر، إنما اعتمده للدلالة على معنى بلاغي يفهم من سياق الكلام وهو الالتماس، هذه الدلالة دعمت القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي الغير مباشر، إشارة منه بطريقة ضمنية إلى وجود افتراض مسبق بغفلة بعض الناس عن مثل هذه الأساليب التي يلجأ إليها محبي المال للاحتيال والتسلط على أملاك الغير. وبالتالي استطاع أن يبلغ فكرته إلى المتلقين ليؤثر فيهم ويلفت انتباههم.

الأنموذج الرابع:

قال **الحريري**:« فَقَالَ اَلشَيْخُ: أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ أُلَازِمَهُ لَيْلَتِي، وَيَرْعَاهُ إِنْسَانُ مُقْلَتِي، حَتَّى إِذَا أَعْفَى بَعْدَ إِسْفَارِ اَلصُّبْحِ، بِمَا بَقِي مِنْ مَالِ اَلصُّلْحِ، تَخَلَّصَتْ قَائِبَةٌ مِنْ قُوبٍ وَبَرِئَ بَرَاءَةَ اَلذِّئْبِ مِنْ دَمِ

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص103.

(2): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص295.

ابْنِ يَعْقُوبَ»[1]

دل هذا القول بصيغته الخبرية على فعل كلامي مباشر يعبر على التعاقد الحاصل بين الشيخ والوالي من أجل بقاء الغلام مع الشيخ إلى أن يستطيع الوالي أن يؤدي المال بتمامه في الصباح الموالي فيخلص بذلك الغلام ظنا منه أن يختصه بعد ذلك لنفسه ويخلصه من التهمة التي ألقاها الشيخ عليه ويبرئه منها. وقد ضرب الشيخ المثل لذلك حين قال:« تَخَلَّصَتْ قائِبَةٌ مِنْ قُوبٍ وَبَرِئَ بَرَاءَةَ اَلذِّئْبِ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ»[2]، وهو مثل يضرب لمن تخلص من الشدة، و« القائبة: البيضة. والقوب: الفرخ، وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصحبة، وجاء مقلوبا لأن الذي ينفصل ويخرج إما هو الفرخ من البيضة، والقوب، من تقوب الشيء إذا انتشر، ومنه القوباء لداء الحزاز»[3]، وابن يعقوب هو يوسف عليهما السلام، وبراءة الذئب من دمه هو« ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى أبيهم يبكون على يوسف، توقعوا أنه لن يصدقهم، فاصطادوا ذئبا فلطخوه بدم، وأتوه يبكون، وقالوا له: هذا الذئب قد ضرِيَ، أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا، قال لهم: أطلقوه، ودعا يعقوب ربه أن ينطقه له، فقال للذئب: ادنُ مني، فجعل يبصبص بنبه ويدنو منه، حتى وضع خده على فخذ يعقوب، فقال له: لم أكلت ابني، وفجعتني فيه؟ فقال: لا والله يا نبي الله، ما رأيته ولا أكلته، وإني لغريب في أرضكم اليوم، وصلت من مصر في طلب أخ لي فقدته، فأوثقني هؤلاء وساقوني إليك، فقال لهم يعقوب عليه السلام: الذئب مع أخيه أوفى منكم مع أخيكم»[4]

وفعل القول هذا تلفظ به **الحريري** فأنتج بذلك فعلا آخر متضمنا في القول، تمثل في تخطيط الشيخ لنهب أموال الوالي وتحقيق هدفه في الحصول على عطاءه ليختفي من الرحبة رفقة ابنه الذي استخدمه في الاحتيال عليه. وهو بهذه الطريقة ينقل إليهم بعض الطرق التي يلجأ إليها المتسلطين على أملاك الغير، كفصاحة اللسان وسحر البيان التي يمتلكها الشيخ في جذب اهتمام الناس

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص103.

(2): المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص295.

(4): المرجع نفسه، ص295، 296.

واستمالة عقولهم، وهو ما نطلق عليه فعلا تأثيريا، وهنا تكمن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول.

4 ـ أفعال السلوك:

الأنموذج الأول:

قال **الحريري**:« فَقَالَ اَلْغُلَامُ: اَلِاصْطِلَاءَ بِاَلْبَلِيَّةِ، وَلَا اَلِإيلَاءَ بِهَذِهِ اَلْأَلِيَّةِ، وَاَلِانْقِيَادَ لِلْقَوَدِ، وَلَا اَلْحَلِفَ بِمَا لَمْ يَحْلِفْ بِهِ أَحَدٌ»[1]

ينضوي هذا القول تحت صنف السلوكيات التي تكون رد فعل لحدث ما، باعتبارها تختص بسلوك الإنسان من خلال تفاعله مع أفعال الآخرين، وهو ما ورد في قول الغلام الذي جاء كرد فعل على اليمين المخترعة التي أراد منه الشيخ الحلف بها، فيقول:« الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف بها أحد»[2]، والتي أبى الشيخ إلا إلزامه وتكليفه بها.

وتضمن هذا القول قوة إنجازية غير مباشرة تمثلت في خداع الغلام للوالي في أثناء كلامه، مستغلا فصاحته في حسن صياغة الكلام وحسن وجهه وصورته التي أعجب بها حتى يأخذ قلب الوالي ويطمعه في الانقياد له. هذا الملفوظ الذي أنتجه **الحريري** من خلال تآلف الجانب الصوتي والنحوي والدلالي والمسمى بفعل القول أنجز فعلا آخر متضمنا في القول هو الغاية التي يسعى الغلام إلى تحقيقها أثناء حديثه مع الشيخ وتلويه وانعطافه حتى يدعوه إلى الإعجاب به وتصديق كلامه.

وهو بأسلوبه هذا ينقل إلى المتلقي كيف يستطيع البعض المراوغة والتلاعب بالكلمات للإيقاع بالناس والاحتيال عليهم، ويحاول إثارة انتباههم إلى مثل هذه الأساليب، وهو ما نسميه فعلا تأثيريا.

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص101، 102.
(2): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص292.

هذه الأفعال الثلاثة التي أنجزت في الوقت نفسه الذي تلفظ فيه بفعل القول حققت بعدا تفاعليا للغة من خلال فعل الكلام المنجز الذي لا يتحقق إلا من خلال التأويل وربط الكلام بمعطيات السياق التواصلي، والذي جعل من الفعل الكلامي حدثا مؤثرا، وهنا تكمن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول.

5 ـ العرضيات:

الأنموذج الأول:

قال **الحريري**:« وَقَدِ اعْتَلَقَ شَيْخٌ بِرُدْنِهِ، يَدَّعِي أَنَّهُ فَتَكَ بِابْنِهِ. وَالْغُلَامُ يُنْكِرُ عِرْفَتَهُ، وَيُكْبِرُ قِرْفَتَهُ، وَالْخِصَامُ بَيْنَهُمَا مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ، وَالزِّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ»[1]

ارتأينا إدراج هذا القول ضمن صنف العرضيات كونه يحمل غرضا إنجازيا تمثل في عرض المفاهيم بهدف الحجاج وجعلها تجري مجرى النقاش، من خلال ما رواه **الحريري** على لسان الحارث بن همام من نقاش دار بين الشيخ والغلام وهو يتهمه بفتك ابنه، والفتك« أن تأتي رجلا آمنا منك وتقتله، أو تكمن له في موضع لا يعرف بك، فإذا أتاك قتلته، ثم سمي من هجم على الأمور العظام فاتكا»[2] ،والغلام ينكر ذلك ويرى أنه اتهم بأمر كبير، والخصام يتزايد بينهما في تلك الأثناء إلى أن اجتمع حولهما حشد كبير من الناس يجمع بين الأخيار والأشرار.

وقد أنجز هذا الفعل الكلامي المباشر الذي تلفظ به **الحريري** فعلا آخر متضمنا في القول، وهو علاقة الأبوة التي تجمع الشيخ والغلام الذي يتهمه بقتل ابنه رغبة في الاحتيال على الوالي، مستغلا موهبته في جميل الكلام وفصاحة اللسان، وجمال صورة ابنه الذي لا يقل عنه فصاحة، وهو هنا ينقل صورة بالغة الروعة عن الحياة الأدبية التي بلغت أوجها في البلاد العربية خلال العصور الوسطى، ويقصد من وراء ذلك إنجاز فعل تأثيري بالعودة بالمتلقي إلى عصور مضت رزق فيها عدد من الأدباء

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100.

(2): أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ص267.

الحظوة التامة في أعمالهم واتسمت إنتاجاتهم بكثير من ملامح الجدة والإبداع، وهو ما يحقق بعدا حجاجيا للفعل المتضمن في القول.

الأنموذج الثاني:

قال **الحريري:**« فَقَالَ إِنَّهَا أَفِيكَةُ أَفَّاكٍ، عَلَى غَيْرِ سَفَّاكٍ، وَعَضِيهَةُ مُحْتَالٍ، عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمُغْتَالٍ»[1]

جاء قوله هذا بصيغة جملة خبرية دلت على فعل كلامي مباشر غرضه الحجاج والنقاش، إذ يظهر أن الغلام المتهم بقتل ابن الشيخ يسعى إلى إقناع القاضي ببراءته من هذا الادعاء، وهو غرض غير مقصود، لأن الغرض المقصود هنا تمثل في الفعل الكلامي الغير مباشر حينما حاول الغلام التلاعب بالكلمات، معتمدا على حسن الكلام وسحر البيان الذي يمتلكه حتى يجذب اهتمام القاضي ويسلب عقله، فيردد على مسامعه جملا تحمل حسا جماليا إقناعيا جعلته يقع ضحية لاحتياله رفقة والده.

وبذلك يمكن القول أن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول تكمن فيما حققته المقولة من بعد تفاعلي حجاجي من خلال فعل الكلام المنجز وفق ما يفرضه السياق والتأويل، والذي جعل من الفعل الكلامي حدثا مؤثرا، وهو ما نطلق عليه فعلا تأثيريا.

الأنموذج الثالث:

قال **الحريري:**« فَقَالَ اَلشَّيْخُ: إِنَّهُ جَدَّلَهُ خَاسِياً، وَأَفَاحَ دَمَهُ خَالِياً، فَأَنَّى لِي شَاهِدٌ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ مُشَاهِدٌ، وَلَكِنْ وَلِّنِي تَلْقِينَهُ اَلْيَمِينَ، لِيَبِينَ لَكَ أَيَصْدُقُ أَمْ يَمِينُ؟»[2]

(1): القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، ص100.

(2): المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إن ورود حرف العطف (لكنْ) الذي يفيد الاستدراك في هذا القول هوما جعلنا ندرجه ضمن صنف العرضيات، **فالحريري** يعرض حال الشيخ والغلام عند خصامهما، إذ يتهم الشيخ الغلام بقتل ابنه وينكر الغلام ذلك بداعي أنه أمر كبير لا يجرؤ على فعله، إلا أن الشيخ بقي مصرا على ذلك يحاول إقناع الوالي الذي طلب منه أن يحضر شهودا على ما قاله، فإن لم يتأتى ذلك فيستوفي منه اليمين.

وتضمن هذا الملفوظ قوة إنجازية غير مباشرة تمثلت في ما ناله القاضي من مكر وخديعة إثر تصديقه للشيخ وانشغاله بحب البنين، فاستغل بذلك الشيخ الأمر كونه على معرفة مسبقة بأنه يتهم بالقبائح ويغلب حب البنين على البنات ليجعله يقع ضحية هذا الاحتيال، ويتمكن من الحصول على أمواله رفقة ابنه الذي يدعي أنه فتك ابنه، وهي القوة الإنجازية المتضمنة في القول، لأن **الحريري** حقق من خلالها هدفه الخطابي وهو الفعل التأثيري، وهنا تكمن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول.

ونستخلص من هذا كله أن **الحريري** استطاع أن يجعل بطل مقامته يحقق أهدافه الإقناعية التي تجسدت في احتياله على القاضي بالحجج التي وظفها وجسدها على شكل أفعال كلامية وخاصة ما كان منها متضمنا في القول. مما يدل على ذكائه وكفاءته الحجاجية واستغلاله للسياق النفسي وميولات المخاطب وهو القاضي في هذه المقامة.

خاتمة

من خلال ما تقدم من مراحل هذا البحث الموسوم بـ: **"حجاجية الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في المقامة الرحبية للحريري"** خلصنا إلى جملة من النتائج: منها ما هو استنتاجا نظريا ومنها ما تعلق بالتطبيق، وهي كالآتي:

ـ يعد الحجاج جوهر الخطابات لذلك شغل الباحثين قديما وحديثا وصار من أهم القضايا التي فرضت نفسها في البحث اللساني التداولي المعاصر.

– لا يمكن الحديث عن الحجاج بعيدا عن البلاغة لارتباطه بعناصر العملية التخاطبية، وأساليب التخاطب والإقناع، وهي الأساليب التي انطلقت منها نظرية أفعال الكلام في البحث التداولي المعاصر.

– اللغة أداة وظيفتها العامة والأساسية هي التواصل، ولا تتحقق هذه الوظيفة إلا بالاستعمال والتداول الذي بدوره يتجسد في أفعال كلامية (أقوال).

ـ تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم المنطلقات التأسيسية في الفكر اللساني التداولي، بل يمكن التأريخ ابتداء منها للتداولية، وبالتحديد مع الفيلسوف المعاصر "جون أوستين"، واكتملت صورها على يد "جون سيرل" الذي انطلق من اقتراحات أستاذه "أوستين" وطورها وفصل أسسها المنهجية.

ـ رغم كل التفصيلات التي قدمت لنظرية أفعال الكلام، بقيت ترتكز على ثلاثة جوانب تشكل مع بعضها كيانا واحدا، وتؤدى في الوقت نفسه الذي يتلفظ فيه بالفعل، وهي: الفعل الكلامي التلفظي، الفعل الكلامي الإنجازي، الفعل الكلامي التأثيري.

– تتحدد قيم الأفعال الكلامية في التواصل اللغوي من خلال تأثيرها في المتلقي، وهنا تظهر وظيفها الحجاجية.

ـ يعد الفعل المتضمن في القول جوهر نظرية الأفعال الكلامية، إذ يتحقق من خلال قولنا لشيء ما، كما أنه متعلق ببنية المتكلم وقصده، وما يحدثه من تأثير في السامع عند تلفظه بالقول، ويؤخذ في ذلك اعتبار السياق.

ـ هذه المقامة التي وقع اختيارنا عليها لتكون مدونة لدراستنا عكست براعة "الحريري" وفصاحته الأدبية، إذ بررها بمجموعة من الحجج التي أنجزها من خلال مجموعة أفعال كلامية، منها ما جاء مباشرا يفهم من ظاهر الكلام، ومنها ما جاء متضمنا في القول فاحتاج بذلك إلى آلية التأويل وفقا لما يتطلبه السياق، وما توفر لدينا من عناصره.

ـ تكمن القيمة الحجاجية للفعل المتضمن في القول في البعد التفاعلي للغة من خلال فعل الكلام المنجز وفق معطيات السياق، وما يحدثه من أثر في المتلقي فيجعل من الفعل الكلامي حدثا مؤثرا، وهو ما نطلق عليه فعلا تأثيريا.

ـ أسهمت هذه المقامة في بيان وكشف الكفاءة الحجاجية "للحريري" من خلال الراوية الذي اختاره لينقل أحداثها على لسانه، ويكون شاهدا على موقفه وراصدا لأخباره، وبطلها الذي استطاع أن يحتال بفصاحته وحسن لسانه وما يملكه من موهبة في جميل الكلام على والي البلد.

ـ يلعب السياق دورا هاما في عملية التواصل، ذلك أن الكلام يحمل جانبا صريحا يفهم من ظاهر الكلام، وجانبا ضمنيا يكشفه التأويل والسياق الذي ورد فيه اللفظ اللغوي، لذلك فإن مقصدية المتكلم المضمرة والمستلزمة مقاميا لا تتحقق إلا إذا كان كل من المتكلم والسامع على معرفة مسبقة بمضمون الخطاب.

ـ ارتبط مصطلح متضمنات القول بمفهومين هما: الافتراض المسبق الذي يقوم على ما يمتلكه المشاركين في عملية التواصل من معلومات مشتركة ومتضمنة في القول تمنع ما قد يحث من غموض أو

سوء للفهم. والأقوال المضمرة التي تتحدد من خلال الخطاب وسياقه، لأن معنى القول لا يتوقف فقط على المعنى المباشر، بل يتعداه إلى المعاني التي يضمرها المتكلم.

ـ تنقل هذه المقامة صورة بالغة الروعة عن الحياة الأدبية التي بلغت أوجها في العصور الوسطى، وتعددت أنواعها، ورزق فيها عدد من الأدباء الحظوة التامة في أعمالهم، ولعل "الحريري" كان واحدا من هؤلاء، إذ ظهرت مؤلفات عديدة تمثل المعرفة وكان أمراءها وملوكها يشجعون الأدب والأدباء، حتى أنهم لا يهبون المناصب العليا في الدولة إلا لذوي العلم والدراية بعلوم اللغة العربية.

توصية:

– وأخيرا نقول إن نجاح الفرد في تواصله مع الآخرين في جميع مجالات الحياة العامة والعلمية يتوقف على كفاءته الحجاجية، بل إن امتلاكه لهذه الكفاءة يحميه من كثير من الخطابات المغالطة التي يمكن أن يتعرض لها، ونحن نشهد عصرا مليئا بكل أنواع المغالطة (الدينية، السياسية، العلمية... الاقتصادية) لذلك نتقدم بهذا الاقتراح أو التوصية المتمثلة في ضرورة إدراج مادة الحجاج في البرامج الدراسية لمختلف المستويات والتخصصات مع التطبيق والتدريب على استخدام الأفعال الكلامية التي تحقق هذه الوظيفة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المدونة:

ـ القاسم أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان الحريري البصري: مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، لبنان، 2005م.

ثانيا: الكتب العربية:

1 ـ أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ط1، الدار البيضاء، 2006م، ص14.

2 ـ أحمد أبو الحسين بن فارس بن زكريا الرازي: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.

3 ـ أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2006م، مج1.

4 ـ إسحاق أبو الحسين بن إبراهيم بن سليمان بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح: جفني مُحَمَّد شرف، مكتبة الشباب، (دط)، القاهرة، (دت).

5 ـ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة،(دط)، الدار البيضاء، المغرب، 1994.

6 ـ جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 2004م، مج5.

7 ـ حسن بدوح: المحاورة: مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2012م.

8 ـ حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل، ط2، تيزي وزو، 2012م.

9 ـ خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط1، سطيف، الجزائر، 2009م.

10 ـ الخليل أبو عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2002م، ج1.

11 ـ خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، ط2، الجزائر، (دت).

12 ـ رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، تق: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2010م.

13 ـ سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط2، إربد، الأردن، 2011م.

14 ـ الشريف أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن علي الحسيني الجرجاني: التعريفات، تح: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2003م.

15 ـ شمس الدين أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، (دط)، بيروت، 1978م، مج4.

16 ـ شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (دط)، لبنان، 2004م، ج1.

17 ـ صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، سورية، دمشق، 2008م.

18 ـ طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

19 ـ طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1998م.

20 ـ طه ندا: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، (دط)، بيروت، 1991م.

21 ـ عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، طبيعتنا الثانية وخبزنا ليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2007م.

22 ـ عباس أحمد الباز: مقامات الحريري، دار بيروت، (دط)، بيروت، 1978م.

23 ـ عبد السلام مُحَمَّد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، 2001م.

24 ـ عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر، ط1، تونس، 2011م.

25 ـ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004م.

26 ـ علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010م.

27 ـ عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، ط2، تيزي وزو، 2013م.

28 ـ فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، جامعة بغداد، (دط)، بغداد، 1990م، ج4.

29 ـ كامل سلمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002م، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ج4.

30 ـ مُحَمَّد أسيداه: اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط، نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، تق: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، (دط)، الأردن، 2010م، ج3.

31 ـ محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)، الإسكندرية، 2002م.

32 ـ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلامية» في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.

33 ـ مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تق: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، ط2، إربد، الأردن، 2014م.

ثالثا: الكتب المترجمة:

34 ـ آن روبول وجاك موشلر: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومُحَمَّد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2003م.

35 ـ أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، مطابع إفريقيا الشرق، (دط)، الدار البيضاء، 1991م.

36 ـ الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: مُحَمَّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، بن عكنون، الجزائر، (دت).

37 ـ فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (دط)، الرباط، 1986م.

38 ـ فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، سورية، 2007م.

رابعا: الكتب الأجنبية:

39 - Chaim Perelman et Lucie - Olbrechts – Tyteca, Traitè de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, ed 5, Edition de l'université de Bruxelles, 1972.

خامسا: المجلات والدوريات:

40 ـ ربيعة برباق: "حجاجية متضمنات القول في مداخلة الشيخ مُحَّد الغزالي ضمن المناظرة الكبرى (مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية)"، الحجاج والهرمنيوطيقا في الخطاب، أنطولوجيا الهوية والرسالة، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2020م.

41 ـ ربيعة برباق: "المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش"، سياقات اللغة والدراسات البينية، مج2، العدد5، أفريل2017م.

42 ـ العيد جلولي: "نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل"، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

43 ـ محمود أحمد نحلة: "نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية"، مجلة الدراسات اللغوية، جامعة الإسكندرية، ج1، العدد1، أبريل-يونيو، 1999م.

44 ـ ملاوي صلاح الدين: "نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مُحَّد خيضر، بسكرة، العدد4، جانفي2009.

45 ـ يمينة تابتي: "الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي"، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، جامعة تيزي وزو، العدد 2، دار الأمل، ماي 2007م.

فهرس المحتويات

مقدمة	05
الفصل الأول: الحجاج وأفعال الكلام ـ مفاهيم نظرية ـ	
I ـ الحجاج	09
I ـ 1 ـ المعنى اللغوي للحجاج	09
I ـ 2 ـ مفهوم الحجاج اصطلاحا	10
I ـ 3 ـ المصطلحات المتداخلة مع الحجاج في اصطلاح العرب القدامى	10
I ـ 3 ـ 1 ـ الاستدلال	10
I ـ 3 ـ 2 ـ الجدل	11
I ـ 3 ـ 3 ـ البرهان	12
I ـ 3 ـ 4 ـ المغالطة	12
I ـ 4 ـ نظرية الحجاج في الدرس الحديث	13
II ـ أفعال الكلام	17
III ـ الأفعال المتضمنة في القول	22

الفصل الثاني: متضمنات القول في المقامة الرحبية للحريري ودورها الحجاجي	
I ـ في سياق المدونة	30
I ـ 1 ـ التعريف بالحريري	30
I ـ 2 ـ التعريف بالمقامة الرحبية	31
II ـ متضمنات القول في المقامة الرحبية للحريري ودورها الحجاجي	34
II ـ 1 ـ أفعال الأحكام	34
II ـ 2 ـ أفعال الممارسات	39
II ـ 3 ـ أفعال الإباحة	43
II ـ 4 ـ أفعال السلوك	48
II ـ 5 ـ العرضيات	49
خاتمة	53
قائمة المصادر والمراجع	57
فهرس المحتويات	64